

# الثقافة

AL-THAQAFA

العدد ٢٨٥ : ١ شارع الكوراسي جادين - القاهرة - تليفون رقم : ٢٩٩٩٢ / ٠٦٧٦٩١

العدد ٢٨٥ : الثلاثا ٢٢ من جادى الآخرة سنة ١٣٦٣ - ١٣ من ربيع سنة ١٩٤٤ السنة السادسة

## فهرس العدد

صفحة	صفحة
١٦ : رجال العلم ورسالتهم في	١٦ : لذكر نور أحمد عبد السلام
١٩ : المجتمع ... ..	١٩ : السكرواني بك ... ..
٢٢ : عبد الله نوح ... ..	٢٢ : للأستاذ أحمد أمين بك ... ..
١٠ : رسائل صليبية ... ..	١٠ : لذكر نور سفير القناري ... ..
١٢ : منزلة الواقفين ... ..	١٢ : للأستاذ أحمد أمين ... ..
١٣ : الطب العربي الباطني ... ..	١٣ : لذكر نور فؤاد حبيب ... ..
١٦ : العلم ... ..	١٦ : للأستاذ ميخائيل عواد ... ..
١٩ : العلم ... ..	١٩ : (قصة) ... ..
٢٢ : كتاب الفاضل في الآداب ... ..	٢٢ : أحمد سامح الخالدي ... ..
٢٤ : لبة مصرية (قصيدة) ... ..	٢٤ : شياء الفصيل ... ..
٢٤ : آنية ... ..	٢٤ : محمد البرعي ... ..

## رجال العلم ورسالتهم

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhrif.com  
لذكر نور أحمد عبد السلام السكرواني بك

الأخيرة ؛ ولكن لم تلبث مشاهدات العلماء اللاحقين في  
عصور تالية أن تعارضت معها ، وحسنت على العلماء أن  
يبدلوها أو يبعثوا عن فروض جديدة لتكوين أكثر  
ملاءمة للانطباق على الواقع ، بحيث تتفق مع جميع  
الشاهدات القديمة والجديدة . وحين وفق بعض الباحثين  
إلى فروض جديدة تحقق تلك الأغراض ملل لها العلماء  
وأبدوها ، وكلما زادت للشاهدات التي تتفق معها زاد  
إيمان رجال العلم بها ، حتى وصلت هي الأخرى إلى مرحلة  
النظريات ، وساد الاعتقاد بأنها الكلمة الفاصلة ؛ وظلت  
كذلك حيناً من الدهر حتى اصطدمت بمشاهدات أدق  
من سابقتها ، وعندئذ تخم العدول عنها ، واقتضى الأمر  
تغييرها ، وهكذا واليك .

رجال العلم المقصودون في هذا المقال ، هم أولئك العلماء  
الذين وقفوا حياتهم للبحث ، ولدراسة خواص المادة التي  
تشكون منها الأشياء المحيطة بنا في هذا العالم ، والقواعد  
والقوانين التي ينشأ عليها سلوك هذه الأشياء . في مختلف  
الظروف نمت تلك الخواص التي يكشف عنها العلم .  
ويطلب ذلك بطبيعة الحال تحمس دقائق مختلف المواد ،  
وتعرف تركيبها ، وطبيعة تكوينها ، وبذل الجهد في  
الوصول إلى الأسباب الحقيقية التي يرجع إليها اختلاف  
الواد بعضها من بعض .

وكم من فروض وضموها في سبيل ذلك ، وأبدتها  
الشاهدات واحدة بعد أخرى ، حتى بلغت تلك الفروض  
مرحلة النظريات ، وظن العالم العلمي أنها تمثل الكلمة

للعالم العلمى ورجال الصناعة على حد سواء ، أن التقدم الحقيقى سواء أ كان من ناحية تحسين المحترقات وإتقانها ، أم من ناحية تقليل نفقات صنعها ، يحتاج إلى أمرين : أولهما تخصيص جماعة كبيرة من الباحثين لفحص كل مرحلة من مراحل الصناعة ، بنية ابتكار التحسينات المتوسطة فى كل جزء من أجزائها ؛ وثانيهما تنظيم الإنتاج على نطاق واسع ، فصنع كل جزء من أجزاء السيارة مثلا يحتاج إلى آلات دقيقة وعمال فنيين يكسبون المصانع مبالغ طائلة ؛ فإذا كانت الآلة والعمال القاعون عليها تنتج فى اليوم ألفى قطعة مثلا ، فإن تكاليف القطعة الواحدة تكاد تنزل إلى نصف تكاليفها حين يكون الإنتاج اليومى ألفا فقط ، ومن ثم جاءت فائدة الإنتاج على نطاق واسع ، مع التخصص الذى يمحصر الجهود وبركزها فى ناحية واحدة .

هذا الفريق الثالث من الباحثين يشغل عادة لحساب المصانع ، ويحيط كل منها أعماله بالكتمان الشديد نظرا للتفاهة التجارية بين مختلف دور الصناعة فى المملكة الواحدة وفى الممالك المختلفة .

\*\*\*

هذه الطوائف الثلاث من رجال العلم كانت إلى عهد قريب قائمة بالأزواء فى معاملها ، والانصراف إلى عملها فى هدوء وسكينة ، غير عابئة بما يجرى حولها من تعمرات ، وبما يخرجه المجتمع من تقلبات ، وبما يذوقه إلتاجها العلمى من تغييرات ، بل ومن ثورات اجتماعية . وكان شعارهم الذى توارثوه ، سنيدي عن كبير ، هو أن العلوم نشأت على الحياء ، ويجب أن تبقى ملتزمة هذا الحياء إذا أربد اطراد التقدم العلمى ، وأن الباحث إن هو إلا آلة ينتفع بها الجميع دون أن تكون له أدنى لإرادة خارجية عن نطاق عمله العلمى فى البحث والتجريب والإنتاج .

وليس القصد من مقالنا هذا تتبع بعض تلك الظواهر وبيان الظروف التى نشأت فيها ، والمشاهدات التى أدت إلى نقضها ، والجهود التى بذلت لصوغ نظريات أخرى تحل محلها ، فذلك ما قد تناوله فى فرصة أخرى ؛ وإنما قصدنا الآن إلى ناحية أخرى أكثر اتصالا بالحياة العملية وبالجمتمع ، وهى ناحية التطبيق .

فهناك طائفة أخرى من العلماء جعلوا مهمتهم استغلال كل كشف علمى جديد لمصلحة الإنسان وراحته ورفاهيته وسعادته وامتعه فى الحياة . فسلكوا مثل العلماء السابقون إلى اكتشاف خاصة جليدة من خواص المادة ، أو صورة جديدة من صور الطاقة ، أخذ هذا الفريق الثانى من العلماء فى بذل الجهد وإعمال الفكر لا ابتكار وسيلة حماية لاستغلال الكشف الحديث فى تطبيق عملى جديد يستفيد منه الإنسان ، فيقدمونه له هدية ينعم بها ، وهو بدوره

يبدل لهم المال فى نظير ذلك عن طريق طائر الأوزون . هؤلاء العلماء التطبيقيون يهذون من مخترعاتهم ويحسبون ويستعملون من أجزائها ومن طرق استعمالها حتى يصير صنعها سهلا ، واستخدامها ميسورا للجميع لبساطته .

بهذه الوسائل العلمية نشأت ونمت وارتقت وتهدت ملابس الإنسان وأطعمته ؛ وأجهزة الإضاءة والتسخين والعلقى ؛ وآلات الحرب والرى ؛ ووسائل النقل وأجهزة التليفون والإذاعة ، وماكينات الطباعة ، والآلات ذات الاحتراق الداخلى ، والطائرات ، وآلات المراجعة ، والأمصال ، وغير ذلك مما لا حصر له من جميع ما ينعم الإنسان به من وسائل الراحة والترفيه والتسلية والاستغلال ، وإتقاء أسباب المرض ، والتغلب على العسلل ، والتمتع بطيبات الحياة وبالأفكار الجميلة للذنية العلمية الحديثة .

وهناك فريق ثالث من العلماء تخصصوا فى نوع آخر من البحث ، وهو البحث الصناعى التكنولوجى ؛ فقد تبين

تأثراً ظاهراً بالإنماء العلمي ، وإذا تلفتوا إلى الناحية العمرانية تحلى لهم الأثر العلمي واضحاً قوياً نفاذاً .

وإذا ما حولوا بعينهم والتفاهم إلى الجانب الإنساني في الحياة وجدوه كذلك قد تأثر تأثراً بالنا بالتقدم العلمي . ولكن الأثر في هذه الحالة متفاوت ، فبينما نجد اليهود العلمية قد أجهت من ناحية إلى الأخذ بيد الإنسان وتجنبيه وبيلات المرض ، وإلى تقديم مقومات النهضة والسعادة إليه ، إذا ما نجدوا من ناحية أخرى قد أجهت نحو التدمير والتخريب والتقتيل والتقتيل بالإنسان على أسوأ الطرق وبأبشع الأساليب .

فاختلعت التي فرح بها رجال العلم وقدموها للإنسان بشراً بما يسدده وبكلمة ، ويرفع مستواه ، قد استغلت في كثير من الحالات لإزالة المذاب وجلب البؤس والفتنة ، وبحو الآثار الزاهرة المدنية التي كان يفخر بها الإنسان وبره . وذلك لأنه لما قامت الحرب الحالية والجميع كله من الفريقين المتحاربين على ما أنتجه الفريق الآخر من آلات جهنمية ، افتتح الكل بأنه لا أمل في القلبة إلا لأن يتفكر آلات أشد تدميراً من آلات خصمه ، وأقوى أتراف الفتك من التي يستخدمها عدوه . وإذا بالفريقين يحشدون رجال العلم ويسخروهم لتحقيق أغراضهم . وقد اقتضى ذلك السياق أن ازداد تشتت الفريقين سياسة « الإنتاج على نطاق واسع » ، وبالتفاهم الدقيق للبحث والتحكم في عقول الباحثين بتوجيههم وجهات معينة ، بعد أن كانوا فيما مضى أحراراً في اختيار موضوعاتهم وطريقتهم والزمان الذي يناسبهم .

ثم نظر رجال العلم إلى النظم الاجتماعية القائمة وحلوا بها بطريقتهم العلمية الدقيقة الفاحصة ، فإذا بهم يجدون معظمها أجوف لا يستند إلى مبادئ قوية ، ولا يقوم على أسس معقولة ، وإنما قبله الناس لما كانوا فيه ( في الفترة التي بين

لكن عاصفة الحرب الكبرى الناشئة التي اجتاحت العالم ١٩١٤ ، لما هدأت في سنة ١٩١٨ فتحت أعين الناس إلى قيم الأشياء في ذاتها وإلى قيمها النسبية ، كما جعلت كل طائفة تنظر إلى مركزها في المجتمع ، وإلى ما لها من حقوق وما عليها من واجبات ، وتنتطلع إلى تحسين حالها وإلى اكتساب حقوق تناسب مع ما تستطاع به من واجبات . فأخذ المال يعبدون النظر في شئونهم ، والرعايا وقادة الفكر يبحثون حالة المجتمع والنظم السائدة فيه ، وبالجملة لم تشد طائفة من الطوائف عن التفكير في حالها ونظامها ومستقبلها .

وكان الرأي الذي تلاقت عنده كل تلك الطوائف على اختلاف أنواعها هو عدم الرضا بالحالة على ما هي عليه ، والإجماع على سونها ، والإصرار على عدم العودة إلى نظام الرأسمالية المتفق ، وعلى ضرورة إقامة نظم اجتماعية جديدة على أسس جديدة ، تكون أقرب إلى تحقيق مثل السعادة الإنسانية كما تصورها كل فريق على حده . ولعل رجال العلم كانوا أكثر الناس فيها وأشدهم عنفاً في استثمار الحاجة الناجمة لتغيير وجهة نظرهم في الحياة الاجتماعية بوجه عام . فقد أخذوا يتسامون فيها بينهم : هل نحن محقون في الفكرة التي سادت بيننا من قديم الزمان ، والتي أساسها أن العلوم يجب أن تنظر على الحياء دائماً ، وأن هذا هو الضمان الوحيد لتقدم العلم والصناعة وارتقاها ؟

ثم نظر هؤلاء إلى العالم وإلى المجتمع نظرة فاحصة ، فإذا هم يلحون أثر العلوم وأثر النظرة العلمية وأثر التقدم العلمي في جميع نواحي الحياة ، فلم يقتصر هذا الأثر على الناحية المادية حسب ، بل تمداهما إلى النواحي الفنية والإنسانية والروحية وتحللها جيداً . فإذا التفتوا إلى الإنتاج الأدبي والفني الحديث في مختلف صوره وجدوه قد تأثر



الأخيرة بكتب جديدة ، ومقالات مهمة ، تحوى اقتراحات عديدة في هذا الصدد ، ورام جميعا يتناولون تلك الاقتراحات والآراء ، التي تبنى بالتفحص والدرس الدقيق بقية الوصول إلى خير الطرق وأجمعها . وشأنهم في ذلك هو شأنهم في جميع المسائل الأخرى ، حرية في الرأي لا حد لها ، وتقبل للرأي أنى كان مصدره ، وقرع بالحجة بالحجة وغير مراعاة ولا تهيب . فالجميع مقتنعون بأن كلا منهم قد نزه عن الغرض الشخصي ، وأنه لا يبنى فيها يسدى ويقترح سوى للصالح العامة .

\*\*\*

ونحن نرى لزما علينا قبل أن نتناول هذه المقترحات وتلك الآراء ، بالعرض والتقد ، أن نعرض لها هو أنفع لنا ونجدي عليها هنا ، وذلك أن نلحظ أولا فيما لدينا من طبقات العلماء ، وفيما أداه هؤلاء لمصر من خدمات ، وفيما لا يزال ينظرهم من نيعات : ثم نبحث في نظرة أولى أكثر نجا ، رجال العلم هؤلاء ، وفيما يجب على الدولة حيالهم كل ذلك يجب أن نعرفه قبل أن نحكم إلى أى حد يحق لهم أن يشتركوا مع زملائهم في الدعوة العامة ، وقبل أن نعين إذا كان ما ينطبق عليهم هناك في العالم الغربي ينطبق عليهم هنا في العالم الشرق . ذلك ما نرجو أن نتناوله في المقال التالي .

## إلى حضرات المشتركين

حدثت إدارة مجلة الثقافة يوم ١٥ يولييه سنة ١٩٤٤ آخر موعد لتسديد النصف الثاني من الاشتراك عن سنة ١٩٤٤ فالرجو من حضرات المشتركين مراعاة ذلك .

الأولاد

الحرب الماضية والحرب الحالية ) من اضطراب وقلق وتلهف على تغيير الحالة القائمة . وقد كان الدافع الأساسى للشعوب التي ارغضت تلك النظم الواهية الدعائم هو ما أملوه من ورثتها من عظمة قومية وتوسع استعماري ، وروح مادي وتفوق عالمي . وهذه كلها تحوى في ثناياها بذور الشقاق بين الأجناس ، ودلائل تأهب الإنسان لاقتراض أخيه الإنسان .

\*\*\*

وأى رجال العلم كل هذا غمالمهم أن يكونوا مسيرين إلى هذا الحد ، لا يملكون من توجيه السياسة العامة شيئا مع أنهم عماد الحياة ورفقها في السلم والحرب . عندئذ بدأ فريق منهم يتحرك ويكتب مناديا رجال العلم أن يهبطوا من سياتهم ، ويخرجوا من عزلتهم ، ويتركوا الحياض الذي التزموا ، ويستشعروا أن عليهم واجبات اجتماعية ، وأن لهم رسالة يجب أن يؤديها بأمانة للجمع الذي يعيشون فيه ، ولا يتركوا أن ذلك يستلزم أن يكون لهم صوت مسوع فيما يجب أن يكون عليه المجتمع ، وأن يشتركوا في البحث عن النظم الجديدة التي ستوضع للعالم بعد الحرب . فمن السخف أن يغضوا حياتهم في اكتشاف الحقائق وإخراج المخترعات وتنظيم الصناعة ، ثم يتركوا انبرهم توجيه ذلك كله دون أن يشتركوا معه في هذا التوجيه وفي استئلال ثمرة عقولهم على الوجه الذي يخلق مع زرعهم العلمية ، ونظراتهم الماثية ، وميولهم الإنسانية المنقولة . وعدم أن النظرة العلمية هي وعددها التي تستند إلى أسس منطقية منقولة ، وهي التي تضمن لنظام الجديد الذي يبنى على أساسها استقرارا واستمرارا ونجاحا ، وتضمن للعالم هدنة وعدالة ، وفرة وسلامة .

فإذا ما انتقلنا من ذلك إلى بحث الطريقة المثلى لهذا الاشتراك الفعلي لرجال العلم في الشؤون الاجتماعية والسياسية ، تشعبت بنا الآراء واختلفت المسالك . ولذلك نجد نخبة رجال العلم البارزين وقادة الرأي فيهم يطلعون علينا في الفترة

## ٢ - عبد الله نديم

كانت مرة يجلس في قهوة أيام الولد الأحمدي سنة ١٢٩٤ هـ. ومعه طائفة من أصحابه، منهم السيد علي أبو النصر الشاعر، والشيخ أحمد أبو القرج السنهوري الأديب اللامع، فطلع عليهم اتان من «الأدبانية» والأدبانية طائفة من القسولين يستجدون بأديهم الداني، وطلافة لسانهم في الشعر، وحضور بديهم عرفتوا بالإلحاح في الطلب، فإذا رددتهم أي رد أخذوا كفتك على اليد، وصافقوا منها شعراً يدل على استمرارهم في طلبهم، واستفوا بمدحهم؛ وقد جموا إلى طلافة لسانهم وحضور بديهم منظوم الشحك في ملابسهم وحركاتهم، فزدهم غارح العامة، وطلة تحت الإبط، وحركات يدور معازر العامة كأنه حلة، ونحرك لصلوات وجوههم كأنهم بقررة، وهكذا. وسما «الأدبانية» تجمع مخبره لأديب. قرا على الحاضرين حتى وصل إلى عبد الله نديم، فقال أخذها:

اسم يقرشك يا جندي      والا كنتنا أمثال يا أفندي  
أحسن أروحياتك عندي      بقى لي شهرين طول جثمان  
فأجابه عبد الله نديم على البديهة:

أما الفيلسوف أنا متديني      وانت تقول لي مامشي  
يطلع علي حشيشي      أقوم أمتلئ لك لوزان  
فرد «الأدباني»، ورد عبد الله نديم، وخلا كذلك نحو ساعة، ثم غلب الأدباني فأصرفه منزوماً.

وقبل السيد علي أبو النصر القصة إلى شاهين باشا كنج، فاستطرقها جداً، وخطرت له فكرة طريفة أيضاً، أن يقيم حفلاً عاماً، يدعو فيه كبار الأدبانية والرجالين ويدخلون في مسابقة مع عبد الله نديم، فيكون منظرًا لطيفاً، ومغفلاً ظريفاً، ففعل، ونصب مراداً أمام بيته، وأحضر رؤساء

هذا الفن، وفترط عليهم أنهم إن غلبوا كافأهم، وإن غلبوا ضربهم، فرفضوا. واستمرت المسابقة نحو ثلاث ساعات، غلب فيها النديم، فكانت الحادثة سبب شهرته بين الأدباء والظرفاء.

لقد أخذ بعضهم عليه - فيما بعد - هذا الحادث، وعبره به، وقالوا إنه رضي أن يقف موقفاً يساجل فيه التسولين، وأن يكون «أدبانياً» مثلهم، ينازلهم ويغالهم على ملا من الناس، فقله مثل المصارعين أمام «الزققة»، ولا يرضى لنفسه هذا الموقف إلا وضيع النفس مافط الهمة.

والحق أن وضع المسألة هذا الوضع فيه كثير من التزميت والتعت، كالذي تعرض على مسامحة الفسكاهة المحولة فيقتد فيها خطأ نحوياً أو لفظاً لغوياً، ولكن يقتد الشيخ الوقور على ما كان منه أيام الصبا، والذي الواسع التراء على ما كان منه أيام اليأس والشقاء؛ فالسألة لم تعد أن تكون طرفة لطيفة، وفكاهة طريفة، وقوانين الطرف الخبيث من المحبوبة في مجالسه مالا يبيحه في مجالس

أخيراً عاد إلى مسقط رأسه بالإسكندرية سنة ١٨٧٩م في نحو الخامسة والثلاثين، وهو أكثر خبرة بالعنينا قباقي من عظماء وجهاً وأدباء، وفيما رأى وسجع وعمل في القصر العالي أيام كان موظفاً في تنفقاته، وفي التجارة أيام تاجر وأغلس، وبأخلاق الفلاحين أيام كان يسم أولاد أحمد «محمد»؛ ولكنه دخلها كما خرج منها صيفر اليدين. عاد فرأى في الإسكندرية منظرًا جديداً لم يكن أيام كان بها، كانت المجالس الأدبية يوم فارقتها تتحدث في عزلي أبي نواس، ووصف البحرى، وهجاء ابن الرومي، ومدح الشعراء في إسحاق، وفكاهات الشيخ علي اللبي؛ فإذا انتقلوا من ذلك فإلى من عارض شعر هؤلاء من الحديثين، وما أنشأه الناشئون من مختار المجلس في مثل هذه الأغراض؛ ولما عاد إليها وجد المجالس تتحدث في



أبناء الفقراء والأيتام ، ووضع لها برنامج يحقق الغرض ، وتكفل هو يتعلم الإنشاء فيها والأدب ، وأخذ يترن الطلبة على الخطابة والتثليل ، وعلى المجلة فتحت فيها من روحه ، ولعلها أول جمعية مصرية إسلامية في مصر أسست لمثل هذا الغرض .

ثم وثق الصلة بين المدرسة والقصر ، وكان الخديو إسماعيل قد عزل وحل محله الخديو توفيق ، فتقرب الخديم إليه ، واستأذنه المدرسة فزارها ، ورجاه أن تنسب الرئاسة لولي عهده « هاس » فقبل . وأغرم بتأمين التلاميذ الخطابة ، فكان ينتهز كل فرصة لإقامة الحفلات بخطب فيها ، ويحضر الخطب للتلاميذ ليخطبوا ، ثم يمرتهم أن يشعروا الخطب بأنفسهم ، ويصالح خطبها ورشدتهم ، فأسس بذلك نخبة يحسنون التحرير ، ويحسنون القول . ولم يكف بذلك ، بل خرج بالمدرسة إلى ميدان الحياة العامة ، فكان يحضر بعض الزوايا التمثيلية في تقصد بعض الميوس الاجتماعية ، ويعتبرها وتلاميذها في بعض اللامه العامة ، من ذلك أنه أنشأ روتين اسمها « الوطن وطالع التوفيق » و « العرب » ، ومثلها في « تياتو زرينيا » ، حضرها الخديو توفيق ، وجمع فيها نجاحا أعلى ذكره .

ولكن ظهر فساد في الجمعية نسبوه إليه ، ففصل من المدرسة ومن الجمعية .

عند ذلك توجه إلى إنشاء صحيفة ، وحسب إليه ذلك سابقة اتصال بصحيفة أديب إسحاق وسليم نقاش ، وصرها على الكتابة فيها ، وشعوره بأن الناس أعجبوا على كسبه ، وأنه كان يكتب فيستقل أصحاب الصحف مقالاته مادة ومعنى ، فلا يؤجرونه على ما كتب ، وكثيرا ما يشعرون عليه حتى يذكر اسمه في ذيل مقالاته ، بل يتركون القارى بفهم أنها لهم ومن إنشائهم .

فأخرج صحيفة سماها « التنكيك والتبكيك » ، وفي هذا الاسم دلالة على غرضه وأسلوبه ، فهو يرى إلى تأنيب المصريين على ما وصلوا إليه ، في أسلوب قد يكون لازما وقد

قد إسماعيل لإمرافه وتصرفه ، وفي الدول وتدخّلها ، ورأى جمعية سرية تسمى « مصر الفتاة » يجمع أعضاءها فينفذون هذا كله في صراحة وحجاسة والأدب يتحول فيأخذ شكل الكلام في الأمة ومصالحها ، وآلامها وآمالها ، ويحتل ذلك مكان غزل أبي نواس ، وشعر صريع التواني ، والنفوس بفضل تعاليم « جمال الدين الأفغاني » وحبه ناثرة تنطلق إلى نوع من الأدب غير القبي كان ، وتجد غذاها في الصحف السياسية والفتالات النقدية ، فيشتغل في الصحافة من هذا النوع « أديب إسحاق » ، و « سليم نقاش » في جريدتهما « مصر » و « التجارة » ، وعدما جمال الدين وتلاميذه بمقالاتهم وإرشاداتهم ، فأعده عبد الله خديم نفسه للأدب الجديد والطلب الجديد ، وانغمس في هذا التيار ، وحول قلبه في هذا الاتجاه ، بعد هذه الصحف مقالاته في مثل هذه الموضوعات ، وخلق من النجاح ما لفت إليه الأنظار ، وكان له فضل كبير في إزدراك أن الكتابة في الموضوعات السياسية إنما هي أسلوب متدفق سريع مرسل لا يفيد السجع إلا قليلا ، لينسجم وحركات النفس المتحمسة الناثرة .

وقد فكر مع بعض أصحابه من أعضاء جمعية « مصر الفتاة » أن يحولوها من جمعية سرية إلى جمعية علنية ، تعمل جهاراً في الأعمال الشريفة ؛ وجدوا هو وحبه يجمعون المال لها من أعيان الإسكندرية ، وسمنوها الجمعية الخيرية الإسلامية ( وهي غير الجمعية القائمة إلى الآن بهذا الاسم ) وكان من أهم أغراضها إنشاء مدرسة تعلم الناشئة على غلط غير الخطأ الجساف الذي تسير عليه مدارس الحكومة إذ ذاك ، فيصنفون إلى تعلم مبادئ العلوم بث روح الوطنية والشعور القوي بالأمة ؛ وقد كان هذا غرضاً جديداً دعا إليه الشعور القوي الذي كان في طور التكون .

وتم ذلك كله ، فجميع المال ، وأفتشت المدرسة ، وجعل عبد الله خديم مديراً ، وانتخبها بخطبة رن صداها في الشرق ، وكان ذلك في آخر أيام إسماعيل ، وأقبل عليها كثير من

ويشخصون مرضه ، ويقفون على أصله ، وركبون الدواب ليقت سريان الداء ، وتعلق بهم أهل المرض يسألونهم الإسراع في معالجته ، والاجتهاد في دفع مصابه ، قطعاً منهم الأطباء ، ونصحهم بالهدوء ، والتمركز عن كل ما كانوا السبب في الداء ، حتى لا يفسدوا العلاج ، واستدلوا بمثلون عشيرة الأطباء ، ويبدلون المجهود في معالجته .

وواضح أن هذه قصة رمزية ، أراد أن يصور فيها شعور الناس في هذه الفترة بعد ما كان من الإسراف في عهد إسماعيل ، ووقوع مصر في الديون الباهظة ، وتدخل الدول الأجنبية ، من مراقبة تجارية وإنشاء صندوق الدين ، وما إلى ذلك ، كما يصور بها ألم الناس من هذا المرض الأفرنجي ، وأملهم في النجاة منه بسمى عقلائهم ، وتفكير أولي الرأي فيهم — كل ذلك في أسلوب دوالي مفهوم .

فكانت هذه السألة هي صميم السألة المصرية ، ومشكلتها الكبرى ، فبدأ بها على هذا النحو ، ومعالجتها هذا العلاج المسمى بالثقافة النورية بكلمة « الداء الأفرنجي » . وفي ذلك مقال في « عمرى نعيم » ، يصف فيها شأناً من صميم الفلاحين ، علم في مصر ، ثم في أوروبا ، وعاد إلى بلاده يُسَمِّعُه أباه أمثاً قائله على الحيلة وقبيله ، كيف يقبيله ، ويطلبه أن يُسَلِّمَ عليه بيده فقط ، ويكتفى بأن يقول له « بَنِ ارْبِيه » ، وليس لفته ، حتى اسم البصل ، فهو لا يعرف إلا أن اسمه « أونيون » — ويتختم هذا بالتمزق من القصة ، وهو أن لا أمل في مثل هؤلاء ، إلا إذا حافظوا على لغة قومهم وعاداتهم ، وصرفوا علومهم في تقدم بلادهم .

ثم يقص قصة موسرين اجتماعوا في بيت أحدكم ، دخل عليهم فوجدهم سامحين لا يتكلمون ولا يتحركون ، ولا يفهمون ، ففكروا في أمر خطير شغل أذهانهم ، وعقد لسانهم ، كتمكيرهم في تقدم الصنائع في أوروبا ، وكيف يفعل ذلك في مصر ، أو يفكروا فيما يزيد ثروتهم ، ويضمن التقدم في عملهم ، ثم يبين بعد ذلك أنهم إنما

يكونون ضاحكاً .

وظهر العدد الأول منها في ٦ يونيو سنة ١٨٨١ ، ودعا فيه الكاتب أن يوافوه بمقالاتهم ونتائج قرائنهم على البيع الذي رسمه : « كوتوا من في الشرب الذي الزمنه والمذهب الذي اتبعته ، أفكار تخيلية ، وفوائد تاريخية ، وأمثال أدبية ، وتيكيت ينادي بفتح الجهالة ، ودم الخرافات ، لتعاون بهذه الخدمة على نحو ماضٍ بما مُثِّلَ في الوجود ، من ركوب معنى الغواية ، وإتباع الهوى الذي أنسلنا سواء السبيل » .

وفي الحق أن هذه الصحيفة كانت محمياً في موضوعاتها وأساليبها .

انظر العدد الأول ، نجد تسكيكاً وتيكيتاً لا كبر المصائب التي كان يحسها ذلك العصر : مقال عنوانه « جنس طي لمصاب بالأفرنجي » ، وهي قصة شاب صحيح البنية ، قوي الأعصاب ، جميل الصورة ، لطيف الشكل ، في رقة الثياب وعذبة الكلام ، وفي عزلة ومنعة لا يتجسس عليها مشاؤون يلتصق به أهل بزم ذؤنه وقولارونه حتى لا يفت إليه يد عدوه ولا حسيب محتال — وبينما هو في ذلك تسلسل إليه أحد الماكرين ينظاهر بالمصالح والتقوى ، ويضمر الخلل والتقدير فأسفه أهل إليه اغتداً به . فمرضه هذا الماكر على الأسواق يربيه من النوائ من تمارض الشمس بحسبها ، وتكشف البدر بنورها ، فأنع حيناً ، ولشكته رأى أهل بيته قد وقعوا في مثل هذه التوبة ، وانغمسوا في مثل هذه الضلالة ، فصار سبرهم ، وترك الفغار والإباء ، وسار في الطريق الذي رسمه الشافق الحادج ، فما صار فيه حتى أصيب بالداء الأفرنجي ( الزهري ) ، فاصفر وجهه ، وارتخت أعضاؤه ، وذهبت بهجته ، وغارت عيناه ، وقشروا وجهه ، وتبدلت حماسه بقبائح تنفر منها الطباع ، وتكفن الداء منه وسرى في دمه وعروقته ، فصار يقلب طرفه لعله يجد من قومه من ينقده من مرضه .

واجتمع الأطباء من قومه بتحصون الجسم ،

الزائرين ، فسأله أحدكم عن المكتبة وما نحوى ، ليعرف أى نوع من العلوم والفنون بهوى ، فقال الفنى صاحب البيت : لقد دخلت بيت فلان وفلان قرأت في مـسـيـفـة كل منهم خزانة كتب عليها ستارة خضراء وبجانبها منقضة من الریش ، والحامد كل يوم يتقضا وبمسح الزجاج والخزانة ، فقلت أن هذا طراز جديد في بناء البيوت وتانيها ، فقلت لهم في ذلك ، ولا علم لي بـمـ أو فني ، وهكذا أصبح السـكـل ناعاً في غفة التقليد .

\*\*\*

ثم هذا كله في العدد الأول من صحيفة « التفكيك والتبكيك » ، نقد للسياسة العامة للبلد ، ونقد للمعيبوب الاجرامية الخاصة . كل ذلك في أسلوب يستريح الانقياء . فقه اللغة البسيطة السهلة عن تفكير وروية ، فقال في فاعلها : إنه لا يريد منها « أن تكون متدقة مجازات واستعارات ، ولا مزخرفة بشيرة واستخدام ، ولا مفتخرة بفضيلة لغة ولا لغة غارة ، ولا مـرـة عن غزارة علم ، ولا مـرـة بـمـرـة ، ولكن أحاديث تعودنا ، ولغة ألقنا السامرة بها ، لا تلجئ إلى قاموس التيريزالمادى ، ولا تلزم مراجعة التاريخ ، ولا نظر الجغرافيا ، ولا تضطر لارجان بصير عن موضوعها ، ولا شيخ بفسر معانيها ، وإقامي في مجلسك كحاسب يكلمك بما تـمـ ، وق بينك تكادى بطلب منك ما تقدر عليه ، و « نديم » يسامرك بما تحب وتهوى .

ثم هو يدرك أن في الناس خاصة وعامة ، وكل يجب أن يقصد إلى تـمـذنه بالأدب وإشماره بوجوه النقد ، لذلك يختار موضوعات الخاصة فيكتبها باللغة القصدى كموضوع « الداء الأفرنجي » ، فهو موضوع دقيق لا يقدر قدره إلى الخاصة ، أما الفلاح والرابي وصناعو القصاص فكتوبة للعامة ، فيجب أن تكتب بلغتهم العامية . وهو في اللغة العامية ماهر كل الهارة ، يعرف أمثالهم وأنواع

اجتمعوا لتعاطي الكيف ، وأخذ « المزول » ليسكون الواحد مبسوطا لا يسأل عن الدنيا وما فيها ، فإذا « وبن » قام إلى مكان نومه ، وقضى ليلة سعيدة — وقال مـالـسـا ولديا وما جرى فيها ، ومـالـسـا وللصحف والتلذذات ، ونحن كننا بمحمد الله في غنى عظيم ، هـنـا الخدم الدين يقومون بأعمالنا ، وقد خلف لنا آباؤنا من المال ما لا تنفيه الأيام — فلا تخرج من بيوتنا إلا للساحرات بالفضحكات والتكات المطيقات .

ثم قصة ترمي إلى نقد ما كان يجري بين العامة من احباءهم في القهوة ، وسامعهم للقصاص (الشاعر) ، وانقسامهم إلى معسكين : متعصب لعنرة ، ومتعصب لرغبة ، وما كان من أحدكم — وقد ختم القصاص القليلة بوقوع عنرة أسيراً — إذ ذهب إلى ابنه وأبقـله من نومه وأمره أن يقرأ في الكتاب حتى يخلص عنرة من الأسر ، وإلا مات كـمـا ، فلما لم يطمع ابنه ، وأفهمه أن هذا تحريف في تحريف ، نزل عليه بمساء حتى أمـاـهـا والحقه فـيـنـ وبلى هذه قصة تمثل الفلاح الجاهل والرابي الذي

إذ أراد الفلاح أن يقترض منه مائة جنيه ، فأعطاه سبعين ، وكتب عليه « كـبـيـة » مائة وعشرون ، وحسبها كما يأتي : المائة فأنتها عشرون ، نخضع من المائة فيكون الباقي سبعين ، ونضم القائمة فيكون عليه مائة وعشرون ، ويقترض الفلاح بذلك لجهله بأسـمـ مسائل الحساب . ثم يقدم الفلاح للرابي قطنا وقحدا غنهما الحق في ١٢٥ جنبها ، يحسبها الرابي بأربعين ، ويأطـله أطلـاطا مضاعفة حتى يجعله مدينا عاتقـي جنبه وعشرة ، كل ذلك والفلاح في غفلة لا يدري ما يصنع به — فإذا عوتب الرابي على ذلك قال : ماذا أمتنع إني الفلاح حمار . وأنا أريد أن أكون غنيا كـبـرـا في خمس سنين !

ثم قصة غنى كبير بني بيتنا غنى ، وأنه أنانا بديها ، وكان من أمانة مكتبة كبيرة ، فلما أتم ذلك كله عزمه على



الزلا، الأجانب بالحسنى، من حفظ حقوق تجارتهم، وعدم الإساءة إليهم.

هذه هي المعاني التي رأى أن الحاجة ماسة إليها في ذلك الوقت (في أول حكم الخديوي توفيق قبيل الثورة الترابية)، صاغها صياغة دينية تناسب صلاة الجمعة، فبدأها بالحمد لله، والتسابيح على رسوله، وختمها بالحديث الشريف: «المؤمن المؤمن» «البيان يشد بعضه بعضاً» — وقد حقق «الزاد» أخيراً فكرة عبد الله الخديم في إذاعة الخطبة شكلاً، ولكن لما تحقق فكرته موضوعاً. وأنشأت هذه الصحيفة على هذا الوضع.

بنح  
أحمد أمين

### منشورات

«الله حرب» خلق عظيم، فأتى إذا وفكك حصاناً أو حماراً وأنى السبر فقدت صبرك وتلكك القصب، وأنهت عليه صبراً، وأما إذا شئت الله ووقفت على تفكير في صبرها، فإن ذلك لا يجدي شيئاً، بل ستفكر بهدوء وتحمصها من كل جوانبها حتى تهتدي إلى موضع الخطأ فيها، وتلك هي التربية الصحيحة.

\*\*\*

«امتاز شرطى بسهولة فهمه على التهين من غير حيلة أو تعجيب، فمثل في ذلك، فقال: «إني أتبع نفس الطريقة كثيراً مع زوجتي، فهي إذا انتابها نوبة من الغضب وعلا صياحها — كما يحدث أحياناً — لم يكن ثمة فائدة في أن أقابل صخبها بضجيج أعلى، ولا أن أزد على كلامها بثلثها؛ ووقفت على الطريقة الصحيحة في مثل هذه الحالة، وهي أن أقابل هذه الجلبة العالية منها بهمس خافت ألفتها في أذنها، فتبرد حماسها، ويسكن ضجيجها. وكذلك اعتدت أن أمس في أذن السكران صاحب فأخذ عليه بهذا الهدوء مسالكة، ولا يلبث أن يسلم يده. وما أخفقت طريقتي هذه قط».

كلامهم، ويضع على لسان الخادم والسيد، والمرأة والرجل، والفقير والغني، والمساكر والمغفل، ما يليق به في دقة وإحكام وظرف.

ثم هو قد فعلت شيئاً جليل القدر، وهو أن التعلیم والتقد من طريق القصص أجذب للقصص وأفضل في التقدي، فأكثر منه بل كاد يلزمه.

لذلك كله نجح في صحيفته، ووصل تدأوها إلى أكبر عدد ممكن، فمن كان قارئاً قارئاً، ومن لم يكن قارئاً أصبح ففهم ولم يكف بذلك بل تراء في عدد نال بلغت الثقافة لها خطرهما في الإصلاح السياسي والاجتماعي، وهي أن من أهم أسباب غفلة الشرق ضعف الخطابة، وانحصارها — تقريباً — في خطاب المساجد، وهي خطب لأغلب الحياة الواقعة بحال من الأحوال، وإنما هي عبارات دينية محفوظة، ومسان متكررة مألوفة، لا تحرك قلباً ولا تضيء حياة.

فكتب مقالاً قوياً في قيمة الخطابة وأثرها في تاريخ الإسلام، ودعا إلى أن يحضر خطب المساجد القاصي بشؤون الحياة، وأقدم على الثاني، «ولقد فسرنا هذه الخطب الوصف المخاض في وضوح، وتبيين الأخطار المحيطة بالامة في جلاء، وأن يبرغ القادرون بقدر من المال يخصص لهذا الغرض، ويتفقوا مع ديوان الأوقاف ليسمح بإلقاء هذه الخطب في المساجد، ثم تطبع وتشر في أنحاء البلاد ليصل صداها إلى كل قرية وبلدة؛ وأعلن استعداداً للاشتراك في إعدادها، ووضع خطبة نموذجية توضح عرسه. تضمنت هذه الخطبة النموذجية، المحافظة على حقوق البلاد، والنهي عن الظلم والفساد، والدعوة إلى الائتلاف لمواجهة الأخطار التي تظهر دلائها في الأمن، والاتحاد مع اللواتين من غير نظر إلى اختلاف الدين، والتذكير بعقد مصر السابق، والاتفاقات حول الخطيفة والخديوي، والتحذير من تمكين الأجنبي من وضع يده على سياسة البلاد، والتحذير من إثبات الحمل بتجذرة وسيلة لتدخله، ومعاملة

## رسائل صينية

## الرسالة الثالثة

« لقد قرأت حديثاً في صحيفة من صحفكم أن الهدف لأسمى  
 لأم أوروبا هو أن نعدن الصين ». فإذا كان الأمر كذلك  
 فإن الرسائل التي اتخذت لتحقين هذه الغاية وسائل فذة  
 ولا شك . ولست آمن نفسي أن أخوض في سيرتها . فأنا  
 واثق من أن السلب والتهيب والغرضي . والحجاب والقتل  
 والاقتصاب أمور لا توافقون عليها هنا في إنجلترا ، بل إنكم  
 فيها أعتقد تخفونها ما استطعتم ؛ ولست أوجعها في الواقع  
 إلا إلى الغرضي التي تسود فركم من سوء نظامها . إلى  
 لا أذكر مثل هذه الأمور في هذا المجال لجرد إظهار  
 استهجانى لها ، لأن السؤال الذي يتردد في نفسي دائماً  
 عندما يتحدثون من المدينة هو : أي نوع من الرجال  
 أخرجت مدينتكم للعلم ؟ وهذه المحاولات الأخيرة في  
 الصين لا توحى فيها بلوح بحجاب شاذ على هذا السؤال  
 ولكن لا ألق في طلب هذا الجواب ، وقد تكون المدينة  
 — مدينتنا ومدينتكم سواء بسواء — مجرد قشور ، وقد  
 يكون الوحش كامدا في أحضان الإنسان أبداً ومستعبدا دائماً  
 لأن يتقضى على فريسته متى فتحت له الأبواب بفضل  
 تدبير محكم ، أو قرصة ساعية ، إننا في هذا مثلكم على كل  
 حال نحكم عليها بما نحكم عليكم به ، وما خذنا ومعايننا في  
 هذا كما خذكم ومعاينكم ، ترد إلى أقوام يمددون بها لأشياء  
 تنطبق عليهم أيضاً . من أجل هذا أمرت على مثل هذه  
 المناظر من جيشكم من الكرام ، لأنهم أنام أحوال الحياة  
 العادية . والآن أي الرجال نحن رأى الرجال أنهم حتى يحق  
 لكم أن تصفوننا بأننا هج متوحشون ؟ نعم أي الرجال  
 نحن ؟ إنه لسؤال صعب على أن أجيب عنه . وإلى لأقليته في  
 أفكارى ساعة بعد ساعة ، يوماً بعد يوم ، فلا أجد وسيلة

أستطيع بها أن أقدم إليكم شيئاً مما يدور في خلدي من  
 أثر أجدى من أن أحاول أن أرمم لكم صورة — أن  
 أرسنها صادقاً أميناً ، فهي ما إلى تزال تطاردني وتعلك على  
 نفسي وعقلي كما برت في أيام الشتاء في شوارع عاصمتكم  
 السوداء الممتدة .

هناك في الشرق البعيد جداً حيث الشمس مشرقة  
 إثر اقلام تروء ، فقد اطلعتم على هذا القليل منه الذي عندكم ،  
 ولستم تسموه بالدهان ؛ هناك على ضفة النهر المريض يقوم  
 البيت الذي فيه ولدت ، إنه بيت بين الآلاف من أمثاله ،  
 ولكنكم أكلها تقوم وسط حدائقها الخاصة ، وكلها قد نوت  
 في بساطة بالأبيض أو الرمادي ، وكلها متواضعة بهجة  
 نظيفة . ولأميال عديدة على طول الوادي الممتد ترتفع  
 أسطح هذه المنازل ملبوة بالأزرق أو الأحمر وسط بحر من  
 الخضرة الخضرة ، بينما يلعب هنا أو هناك برين الذهب الذي  
 يكسوه في سائر الأماكن من بين باقات من الشجر الأخضر .  
 والى الخريف القليل المديدة وقد فقس بالوالب والزوارق ،  
 تطفو على بحري مائة الف رائق الصافي حركة مرور نشيطة من  
 الأسواق الريفية على ضفتيه . فالفلاحون اللوقون المجهزون  
 يملأون المنطقة كلها ؛ يملكون الأرض التي يحرثونها ، تلك  
 الأرض التي قد ملكها آبائهم من قبلهم وحرثوها مثلهم ؛  
 إنهم يستطيعون أن يقولوا إلى الأرض التي يملكون عليها قد  
 صنعوها ما بأيديهم . ولك أن تنظر إليها لتبين صدق قولهم ،  
 فهذه التلال الجديدة قد أصبحت كلها تتأوج من أسفلها  
 إلى قممها بالخضرة الخضرة ، بالقطن والأرز والتعب والبرغال  
 والشاي ؛ وهذا سفح الوادي قد ازدان بأحزمة خضية من  
 ماء النهر يتساقط من قناة إلى قناة في آلاف من الشلالات  
 اللامعة البراقة ، ثم يتكسر في الفتامليس ليقرق في الواسير  
 ويغمر الأرض التي تقصصه حتى تنضج . وهكذا يوزع  
 بالعدل والقسااس وبلاغنى الخصب والخضرة والحياة في  
 سخاء ووفرة . وإنك لتري في كل ساعة وأنت تجتاز

القناطر الصنيرة والعارق المنيرة المنيرة آكار الأحيال التي  
 حلت ، وإلى جانب ظهور أبنائهم من عدم إلى أن تصل إلى  
 حيث يستلم الإنسان حمار أدام الطبيعة ، تستجلى حرقه  
 يسيطر عليها أحسد . وإذا التفتدوات قد كسبت كساة  
 وردوا ذهبيا لأزوديا من الزهور المختلفة الأشكال والألوان ،  
 زهور غنية قد تحت في وبرة منقعة بالحياة القائرة . كم  
 حست هنا وسر هذا السكون ، سكوت يبع من حفته  
 أنى كنت أستطيع أن أنست فيه إلى خيف ظل  
 الشجر يشرك على الأرض كما قال أحد شعرائنا : سكوت  
 لا يتوجه إلا أصوات الفلاحين يتنادون من حين إلى حين  
 عبر التهر ، وإلا صوت نوافس العابد يشع في الوادي يدعو  
 الناس إلى الصلاة في الفجر والغروب . أى سكوت وأى  
 أصوات ! أى عطر وأى ألوان ! إن الخواص أصبحا بكل هذا  
 وشتم به ، بل إنها تفرق بسببه إلى درجة لا تمكن السكون في  
 جز كم التالى أن تلوها أو تلوها ، إلى حال الطبيعة  
 حولنا يسر به إلى أممنا يشكر الروح والعقل في  
 يستجيب منه .

وإن أصبحا نحن الصديق بأرأنا الإنسان لأخيه  
 فالتعب في ذلك واضح لكل من يمشي . إن الطبيعة حولنا  
 هي التي علمتنا ! ونحن في هذا أحسن منكم سحلا . ولكن  
 مما يعود الفضل فيه إلى ذكائنا وليس إلى حسن خلقنا ، أننا  
 كنا مستعدين لأن نتاق عن الطبيعة . وربما ذلك أنه في  
 هذا الوادي الجليل ، كالأخى عليك ، تمشي آلاف الأجناس  
 لا يحكمهم دستور سوى التقاليد ، ولا يسترهم قانون سوى  
 قانون الأسرة . إنهم صناعون مهرة نشطوا في صناعتهم ،  
 ولصنعتهم الصناعة التي لا تتكون لغرضها في أوروبا ؛ إنها  
 صناعة الآخري ، يعملون بها لأهلهم ولذاتهم ، يعملون بها  
 على الأرض التي ورثوها من آباءهم ليسلواها من بعدهم إلى  
 أبنائهم ، وقد أحصوها بكدهم ورووها بحرق جبينهم ،  
 ولا مطبخ لهم وراء ذلك ، فلا ينهضون أن يعمدوا التروء بحال  
 من الأحوال .

والن كان منهم في كل جبل من يترك عمله ليحوي  
 العالم ، فقد كان يرحل عن الصين وعمل ، صدره أمل لا يخبئ  
 في أكثر الأحيان ، ذلك هو أمل العودة إلى وطنه حيث  
 ولديهم أعمامه الأخيرة بين الناطل التي أحياها في شبابه ،  
 والوجوه التي كان يترها في صباه . إنه بين قوم ك هؤلاء  
 لا يكون مجال للصناعات الحفيرة الحادة ؛ فلا سيد ولا  
 مسود في الصين . ولكن المساواة الجمعة الفرصة الحقة  
 هي التي يعتمدون عليها في مساواتهم ، وهي التي تنظم  
 الصلات بينهم . إن الكد الذي يلبه الجسم والروح ، والراحة  
 الكافية والصناعة الطيبة ، والصناعة التي تدرع بحكم العادة  
 في عروهم ، والتي لا ترقها حيلالات الأطماع والجشع ،  
 والحس الرخيف لكل ما هو جميل ، الذي أوحى به أجل  
 ضوئ في العالم ونحته روحه ، والذي يجعل في السلوك الجليل  
 والذات الرفيعة ، إن لم يجد له مثله لأن يتجسم في صورة  
 في حاله وهي صوات قديم الدين ولدت بينهم . أيمكن أن  
 يكون الكد في مساواتهم ؟ قد تكون ، أيمكن أن يكون  
 الجليل قد أصبح جماله على مباح الصبا ؟ من يدري ؟  
 ولكن أوقن بشئ واحد ، ذلك أن حياة كمثل التي  
 وصفتها ، حياة قامت على أساس العمل في الأرض ، وبنيت  
 على قواعد المساواة الحقة والعدل التام ، توجد فعلا في الصين ،  
 بل إنها لتخلأ الصين طولا وعرضا في ازدهار ونشاط ،  
 فأنا عندكم يا هؤلاء الذين تربدون أن تمدوننا ، حسا  
 تستطيعون أن تقدموه إلينا عودا من هذه الحياة ؟  
 والحسرنا ؟ إنه باسم هذا الدين قد ارتكبت ما لا يستطيع  
 وصفه . أخلاقكم ؟ ترى أن تمدوا ؟ ثم أن أخلاقكم  
 تلك ؟ أم كاذبة ؟ وإلى أين تذهبكم ؟ أين تمشي في إنجلترا  
 صورة بكنكم أن تقدموها لقارن بينها وبين ما رسمت  
 لكم من الصين ؟

هذا هو السؤال الذي سأحاول أن أجيب عنه .

وكونه صريح القلادي



يشتمل بدرجة محترمة من التتامم والثقافة والمدينة ...

\*\*\*

## متزلة الوالدين<sup>(١)</sup>

ينبع متزلة الوالدين في أعين طفاهما حد التقديس .  
فهما في نظره كل شيء ، وهما العيد القدسي والقوة المسببة ،  
و مرجع كل صغيرة وكبيرة ؛ وهما يكونان له روحيا وإلهاميا  
وعزاء ، وقوة تزيد في سروره وتنقص من آلامه ، فتجده  
بين رفاته غفورا بهما ، يقيه إغجابا لما لها من «سعة  
الاطلاع ، ووافر المعرفة ، وغزير الخبرة»

\*\*\*

فلذا ما شب وتوخر ، فاستلهم لهما الفتية ، وفتحات  
قواء العقلية والمعرفية الملهية ، وانتقل من مرحلة تدريس  
إلى أخرى أرق وأرفع ، عندئذ يتسكن في القديس  
رويدا رويدا ، ويبدأ في نفسه غيرة طبيعية هي خروج من  
الغرور والاعتماد بالنفس . فتجده يقول : « لا بد من  
والدي » قد خيرا الحياء ، وحرما كثيرا من استغناءهما  
ولكن هناك بعض أشياء ما زالوا يحفظونها ، كاستمرار  
علاقتهما وصدهما بالكمال ...

\*\*\*

ثم تنمو الفتى ، ويصحى شابا طموحا متوثبا ، يتبع  
أمامه أجن الحياة بعد أن كان محدودا مكررا ، وتظهر أمامه  
المعالم والفنون متشعبة متفرعة ، والآراء فيها مختلفة متباينة ،  
هنا ، يصطدم حيله بتجارب والده ، وتفكيره بتفكيرها ،  
ومستقبله بماضيها . هو تشبط طموح جفوها وزبائن وقوران ؛  
هو ملدفع بشمباته وأحباطه ، وهما تابان بتجاربهما ؛ هو  
يتطلع إلى المستقبل بنظرات آماله ، وهما يستمران بحزن للماضي .  
فتجده يهيم بينه وبين نفسه : « إن والدي لا يدركني  
مطامع الشباب وماكره ، إن أفكارها ومبادئها قديمة بالية ،  
إن أقاديت جيلا مضى فبها أن يسترشد بها شباب جيل

(١) عن مجلة « باريد » بصرف .

ثم عمر الأيام ، ويصبح الشاب رجلا عتيكه الأيام  
وعصرته التجارب ، فاصبح عقله ، وابتدأ بزن الأمور على  
حقيقتها ، واستوى فهمه فوثق من نفسه ، وأضحى تفكيره  
مرتابا منطقيا . في هذه السن ينظر الرجل إلى والديه من جديد  
نظرة احترام وإجلال ، يمل من شأنهما ، ويقدّر رافسيتهما .  
فإذا ما سأله عن رأيه فيهما لأجابك : « إن الإنسان  
لا يستطيع أن يحل والده عقوبا عليه . إن تفكيرهما  
اسلم ، فإيا ما يصيب . وكان العناية الإلهية قد خصهما  
بحزم كبير من عايشهما ... »

وأخيرا يدرك قس أن يكون «أق الشيخ في والديه إذا  
كانا قد أشال في عمرهما . أو ماذا عساه أن يقول في  
«عاش عليهما إن كانا قد سيقا إلى القبر » . إنه يصغهما  
في حديثهما ، يكتسب منهما دورا ، وأقوالها عبر . أمد الله  
في عيشهما ، ووفور حجة واسعة .

د. محمد أمين

1990-1991

صاحب البند شيخ

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

...

رئيس التحرير المشرف

محمد عبد الواحد عوف

30 في مصر والسودان

50 في ليبيا ومصر والإمارات

60 في الكويت والامارات من اتحاد العرب

70 في الملكة الامارة من اتحاد العرب

10 في ليبيا

اشتراك

شهر

## الطب العربي البابلوني

يجتمع قريبا في بيروت مؤتمر الطب العربي لتوحيد الجهود في سبيل معالجة الأمراض المستعصية ، والأزمات إلى أقرب الطرق وأجمعها لرفع مستوى سكان البلاد الصحي لتلك رأيت من المناسب أن أفتح أمام القارئ الصحيحة من صفحات تاريخ الطب العربي منذ أقدم عصوره . ولأنك عذدي في أن الإلزام يمدني ما كان عليه ذلك العلم في جزئ تكوينه ، أمي في الألف الثالث قبل الميلاد ضرورة لا بد منها الذين يعنون بتاريخ الطب وطوره ، أو تتبع الأدولم المختلفة التي مرت بها منذ ما قبل الفوية ، سواء منها تلك التي رسمها الشعب يوم كان الطب شعبا ، أو أوجدها الإخصائيون لما أصبح علما . ولست في حاجة إلى القول إن القارئ لن يظلم متى أن أعرض له في مقال التذوق الأمراض وتشخيصها ، والمقاومة وتكثيرها ، ومنعها ديفا ، لست لا تأت لها : أولها أن (الطاقة) ليست هي الطبية ؛ ولكنها ليست أيا فاعلم الذي لا يفرق البساطة الفنية الحقة الكافي الذي يتكلم من وضع الأعطاء واصطلاحات اللغة الطبية القديمة في أسلوب عربي حديث . وإذا آوت العرب البابليين الأشوريين على سواهم من سائر الشعوب العربية الأخرى التي قامت لها في الجزيرة العربية وخارجها حضارات ومدنيات ، فإنما لقضاء التراث الذي وصلنا من سكان الرافدين ووطنه ؛ فما عمله اليوم منهم بفضل أعمال الحفر التي تقوم بها الجامعات الأمريكية والأوربية في بلاد العراق وماجاورها ، يفوق بكثير ما نعرفه عن معظم الشعوب العربية الأخرى التي عاصرت البابليين الأشوريين . وقد رعت في الطب لعلى والاستعداد المعطى السكمن في المنصر العربي ، أو إن شئت نقل المنصر السامي ، لزوجة الطب والنبوغ فيه نورا وراء منذ القدم أسس الأماكن وأرضها . فالتاريخ المصري القديم يحدتنا أن فرعون مصر

أمينوفيس الثالث استدعى طبيبا آشوريا لمعالجته ، لما هدته العلة واشتد به المرض ، وعما من ازدهار الطب ورفيه عند قدماء المصريين . وما جاء في المصادر المصرية ترويه مصادر أخرى لكثير من شعوب العالم القديم التي كانت تربطها وأرض الرافدين علاقات ثقافية .

ولعل السبب في ذلك النبوغ يرجع إلى أن العربي بطبعه متفائل واثق في الحياة ، أخذ بأساليبها ، كما تعلمنا على ذلك أساطير وآداب الساميين القديمة ، وعقائدهم الدينية المختلفة . السامي واثق منذ القدم في البقاء ، لمرفض فكرة الفناء ، واعتقد في البعث ، كما اعتقد في الحياة الأخرى والثواب والعقاب . فحس هذه عقيدته في الحياة طيبين أن نراه يغفل كل ما في طاقته لجل هذه الحياة الدنيا المعقدة غير نسة ، وسليمة غير مثقلة . وهو في عمله هذا يؤدي عملا غريب من العبادة إن لم يكن هو العبادة ، النفس أن يلقى سائر الدلائل العربية اهتماما خاصا موجها إلى السعي إلى صحة من الاعتباط بالجسم سليا قويا ، وبهاوية كلاما من : (إن الإفساد يحمل عضو من أعضاء جسم الإنسان أو الإنسان بأكمله ، مع الحث على الأخذ بأسباب الحياة الطبيعية غير المكتوبة أو المقدسة . الأخذ بأسباب الحياة العناية بجسم الإنسان مغيرة دينية ، إذا رغبة من الرغبات الإلهية ، وكل ما يحول دون تنفيذ هذه الرغبة ، يجب أن يكون من عمل طائفة غير طائفة الآلهة ، أعني طائفة الأرواح الشريرة . وعلما أن هذه الكائنات شريرة وجبت إذا محاربتها ، ووجبت مطاردتها ، ووجبت القضاء عليها إن أمكن . وما هي الوسيلة لبروغ هذه النابة ؟ السحر . السحر إفا وسيلة من وسائل التخلص من الأرواح الشريرة ، أو سبادة أخرى وسيلة من وسائل العلاج والشفاء ، كما أنه سبب الهداء

وتعني إذا رجعتنا إلى معاجنا اللغوية نطلب إليها الإفصاح عن مدلول لفظ (طب) وأنها تعالفا بكثير من

وأطرافه ، ومن أشهر هؤلاء : الآلهة الإلهة (نيتجيريدا) ،  
ومن حسن الحظ فقد نُقِطَ على رمزه ، وهو عبارة عن عصا  
القف حولها ثيمان . ومن كان يحور بخلافه أن الثيمان  
شعار القلب والأشياء في عالمنا القديم والحديث يرجع إلى  
هذا الرمز القرفي اليابلي لا أما السر في اختيار هذه الأفعى  
ميو الاعتقاد بأن الثيمان يستبدله ثوبا (جلدا) يتوب يحدد  
شبهه ، فيكتسب حياة جديدة ، فالثيمان إذاً خالد إلى قوت ،  
لذلك قُديس قديما ، وأخذ كرم من رموز الحياة الأبدية ،  
ولم يمض زمن طويل حتى أخذ القلب الشعبي الرواقي  
ينسخ الطرائق الطب آخر يعتمد على الخبرة والتجارب أكثر  
من السحر والسحرة ، أغنى الطب العلمي . وأنهم المصادر  
التي يعتمد عليها رجال العباديات اليوم لدراسة هذا القلب  
العلمي ، من الفلوسف الفلسفة القديمة ، ومن أهمها تلك التي  
نمت عليها في مكتبة الملك الأشوري (أشوربانيبال) ، ولو أن  
الملك كان قد قبل بدليل إعدام شرعية هورابي  
في القضاء على السحرة من المواد المتلفة بالأطباء وأطباءهم ،  
سواء كانوا يهودا في أمراض البشر أو الحيوان ، وأهم  
هذه النصوص التي عثر عليها في مكتبة (أشوربانيبال) هي  
تلك التي عرّضت فيها بعض الأمراض والمفاقر ، وكيفية  
تصميمها وطريقة استعمالها ، فقد وصلنا مثلا نص مقيم  
إلى ثلاثة أحمدة ، في العمود الأول الدواء ، والثاني الدواء ،  
والثالث طريقة استعمال الدواء . مثلا : حشود عشب  
الشمس - لشفاء وجع الأسنان - توضع على الأسنان .  
ومن مراجعة هذه النصوص وتلك التي عُثِر عليها  
في سجلات الحكومة البابلية ( القرن الثالث عشر قبل  
الميلاد ) ، يتبين لنا أن الطريقة التي كانت طبعة عند وضع  
للارجع الطبية هي تقسيم ثلاثة حسب أعضاء جسم الإنسان ،  
فذكر مثلا أولا الأمراض الخاصة بالرأس وهو الرضخا ،  
والأدوية الخاصة بدلاجها ، ثم ينتقل إلى الصدلين ،  
الأذن ، فالعين ، فالصدر ، وقد أسهبت النصوص التي

المعاني التي ترجع إلى تلك العصور الفارقة . وصاحب الأسان  
يروي لنا أن العليّ هو السحر ، وقد قال ابن الأسيوطي :  
ألا من مُسَلِّح حَسَنٌ عَنِ أَطْبَاطِ كَانُوا لَكُمْ جَنُونَ  
ودواه مبرومة أسحر كانت طِبْطَبُكَ ، وقد طَبَّ  
الرجل ، والطوبى للمسحور . قال أبو عبيدة إنما سمى  
السحر طَبًّا على التناقل بالراء . وفي حديث النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه احتجم يرمي بين طَبِّين . قال أبو عبيدة  
طَبُّ أَي سِحْرُهُ ، يقال منه رجل مغلوب أي مسحور .  
وفي الحديث : فطبل طَبًّا أصابه أي سحرا

وإذا كان المرض من عمل الشياطين ، فالعلاج يجب أن  
 يأتي من عند الآلهة ، والأسطورة البابلية تحدثنا أيضا أن  
 الإله (إننا) هو رب الحكمة وإله المعرفة ، وهو الحد  
 الأكبر للأطباء . والإله (إننا) كما سأل أيضا عوسا البحر  
 والأموات ، ومن لئلا يجعل الله كل شيء حيلة ، فليس هناك  
 أو كما يعرف عنه بالبابلية ( أنس ) هو الطبيب ، والآن نرى  
 جارة من علم الطب : وعن اللغة البابلية الأقدم ، فنقل  
 إلى سائر اللغات الحديثة كالألمانية والفرنسية والإنجليزية  
 والآشورية العربية متنوعة ، فصور السداواة والعلاج :  
 وأسا الجرح : أشوا وأسا : دواء ، والأسور والأساء  
 جميعا الدواء ، والجمع آسمية ، قال الخطيب في الأسماء  
 بعصر الدواء .

ثمّ الأسفلون ثمّ الرأس لا تتركها المصيبة والأسفلون والأسفلون وإذا تلبثت هذه المصيبة في القسامة وجدناها مستعملة في معناها الأسفل التصلب بالقاء : فقد ورد والأسفل ماء بينه ، قال الرازي :

ألم يأتكم الله في كتابه على آية من آياته على الذين آمنوا يعطون القليل وما  
لكن الساء ليس هو الدواء الوحيد الذي نحتاج إليه  
أمرأتنا وجروحنا ، لذلك نجد إلى جانب الإله (أبا) آلهة  
آخرون اختص كل منهم بعلاج مرض خاص ، فلهم  
الاخصائي في علاج الفم والأسنان من سائر أعضاء الجسم



ومن الحيوانات والطيور : الفم ، الحية ، الثعالب ، النعام ،  
البحر ، الثريان ، البوم ، الحظ ، ومن المعادن : اللازورد ،  
والكبريت ، والجناس ، والمخ ، ولم تشمل هذه  
المقايير بحالتها الطبيعية ، بل كانت النباتات مثلا تحفظ  
ثم يذوق دقة بختها حسب الحاجة والوضع . أما النبات  
أو البقول فسكانت تقشر ثم تعصر وتخرج أو تناول على  
حدة . وكان الدواء يستعمل إما من الظاهر وإما من  
الباطن ، سواء كان سائلا أو جامدا أو فريحا ، والسوائل  
كانت تتعاطى غالبا باردة ، وأنسب الأوقات لتجربتها  
الصباح قبل الشروق أو في الليل ؛ وكانت لا تشجر  
دفعة واحدة ، بل توزع على ثلاث مرات ؛ وفي بعض  
الحالات كان يكرر الدواء في مدة تتراوح بين ثلاثة أيام  
وسبعة . أما الأدوية التي كانت من الباطن ، فقد استعان  
الطبيب على توصيلها إلى الداخل بالفتحات الطبيعية  
أو عن طريق الجلد . في جسم الإنسان مستخدمين أحيانا بعض الأديب .  
دكتور فزار حسن

مكتبة تآليف العثمانيين

http://www.egyptology.com

تولى على مكتبة تآليف العثمانيين الهدايا الطبية من  
المجلات الحكومية ، وأعلام الأدباء ، والمؤلفين ، والكبار  
الدائرين ، معاونة لها على تحقيق رسائلها الثقافية . ومنها :  
مجموعة من مجلس الشيوخ لطبوعه ومضابطه من عهد  
مجلس شورى القوانين إلى سنة ١٩٤٣ .

مجموعة من مجلس النواب لمضابطه من سنة ١٩٣٤ إلى  
سنة ١٩٤٣ ، ومجموعة من الجمع القوي : جلته ومخبره  
ومصطلحات العلوم التي أقرها .

وأعداه مدير قسم النشر بالسفارة البريطانية طائفة  
من الكتب العربية والإنكليزية والفرنسية .  
وأعدها مكتبة النهضة المصرية ٣٥ مجلدا من نفائس  
مطبوعاتها الحديثة .

والثقافة تشكر لحضرات رؤساء الهيئات والمجامع  
والأعلام المؤلفين وكبار الدائرين مصلوهم المذكور

عثر عليها في وصف أمراضه ، فمن حي إبلنة : إلى سعال ،  
ومن تنفس في الحلقين إلى وسع في الظهر ، وقد يكون  
كل ذلك مصحوبا بإيلام وضوءة في التنفس وضيق في  
الصدر ، إلى جانب الدم الذي قد يصحب به بقاء المريض  
أحيانا ، وحتى يبلغ المريض هذه المرحلة في رتبته سديد ،  
ومن ثم الرئة اليسرى يسيل دم منقي . وبعد ذلك يجد  
عرضا دقيقا لأعراض أخرى إبلنة متعددة ، كتثاق التي  
تصيب المعدة أو القلب أو الكبد أو الطحال . ومن  
الجدير بالذكر هنا أن الطبيب العربي الباطني نبه إلى العلاقة  
بين داء الصفراء وأمراض الكبد . وفي نصوص أخرى  
حديثا طويلا عن الأمراض الجلدية والتناسلية وأمراض  
الرحم والحمل والوضع . وقد اعتنى رجال السمايات إلى  
نصوص كتاب كامل خاص بالأعصاب ، وفيه كلام كثير  
حول العضلات والأمراض التي تنشأ عنها ؛ ومن أمثلة ما  
به أن أعصاب الفخذ إذا لم تقو على مساعدة صاحبه على  
القيام أو السير فهي مريضة ، وقد يكون ذلك قد أدى  
إلى ظهور سلس عامين ؛ ومن عوارض هذه المرض : سعال  
الدم على الحلق ، ويكون في الساق وحز كرحل الإبر ، وإذا  
كانت هناك حرارة في القدمين فيشعر المريض بتقلعها ولن  
يستطيع رفعهما ، أما إذا انخفضت أعصاب القدم فلن يستطيع  
للمريض السير ، وإن تقدم به المرض أصبح بالكساح .  
أما طرق العلاج فمتنوعة ، فيها العمليات الجراحية ،  
والتدليك ، والحركات الرياضية ، والبخور ، والاستحمام  
بالماء الساخن ، إلى جانب المقايير المختلفة المعروفة من  
النباتات أو الحيوانات أو المعادن . أما النباتات فيظهر  
أنها قامت كما تقوم اليوم بالدرء الهام في تركيب الأدوية ،  
حتى أصبح اسمها في البالية (سم) عتقا على الطب والمقايير  
أيضا ، وهذا المعنى انتقل اللفظ إلى معظم اللغات السامية  
(سم) . ومن أشهر النباتات والأشجار والأعشاب التي  
كانت مستعملة قديما للتخيل ، أو ببتون ، الفين ، الكفري ،  
الثوم ، البصل ، السكون ، الفناء ، السمسم ، الورد ، والر .

من رسوم كتاب « رسوم دور الخنزير »<sup>(١)</sup>

## العمائم

رُسُوم لبسها ونزعها<sup>(٢)</sup>

« في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتههم »

نهر

قبل قديماً : العمائم لرجال العرب . وقد وصفها أبو  
الأشود القدسي بقوله : « حُشَّة في الحرب ، ومِسْكَةٌ  
من الحر » ، ووصفها من القرب ، ووقار في الشدي ، ورواية  
من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي تعد عادة من عادات  
العرب . وقال تميم بن مرى اللخمي

يَا مَسَالِ وَالشَّيْءُ الْمُعْتَمَرُ قَدْ

بُطِرَ بِهِ عَمَامَتُهُ بِلَاحِ  
نَحْنُ بِنَا عَمَامَتَنَا وَأَنْتَ بِنَا عَمَامَتَكَ  
بِلَاحِ رَاحِيٍّ وَأَنْتَ بِلَاحِ خَلْفٍ

فهذا خير وصف يصور لنا العمامة ومزركها عند  
العرب ، وهو الذي يغيرها ويتبناها ، ويحرص عليها  
حرصه على سبيله وإليه . والعرب لم يكتفوا بلبسها ، بل  
نمى الأمر إلى أن يستفيدوا منها من غير هذا الوجه ،  
« لأن العمامة رعاياها لها لم » ، ألا ترى أن الأحنف  
ابن قيس يوم « مسعود بن عمرو » حين عقد لعيسى  
ابن طلحة التواء ، إنما رجع عمامته من رأسه فمقداه له ،  
ورعا شدةوا بالعمائم أوساطهم عند المهددة ، وإذا طالت  
العقبة ، ولذلك قال شاعرهم :

(١) رسوم دار الخلافة خلال بن الحسن العباسي (الفاوي سنة  
١١٨ للهجرة) ، وهو كتاب أهداهه للوزير أبي خلفاء وعقدا  
فيه ، وألحنا به ملاحق مربعة .

(٢) مجلة الرسالة الأحمدة : ( ١١٥ : ٢٩٩ و ١٥٢ ) .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ( ٣ : ٦٩ : طبعة المنهوري )

كُفِّمْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالْبُرْجِ حَارِطِي  
تَشَدُّ عَلَى أَصْحَابِنَا بِالْعَمَائِمِ

وقال آخر :

خَلِيلِي شَدُّوا لِي بِفَضْلِ عَمَامِي  
عَلَى كَيْفِ لَمْ يُسَقِ إِلَّا تَعْمِيمِي<sup>(١)</sup>

وأخبار العمائم مما يطول شرحه وييسر مثاله في مقال ،  
لأن أخبارها مشهورة في كثير من الكتب العربية القديمة ،  
مقتلاً عن أن غير واحد من المؤلفين الأقدمين والحديثين  
أفرد لها كتاباً طاعاً بذاته<sup>(٢)</sup> .

ومرادنا في هذا البحث أن نتناول رسوم لبسها  
ونزعها في حجرة العطاء ، وفي دورهم ، فإن في ذلك طرافة  
أدبية وتاريخية .

المرحوم الشيخ الفاضل في دور العطاء ولحضرتههم

كان من الرسوم الثبوتية عند دخول الناس على الخلفاء  
ورجال الأمراء ، وعلى السادة والعطاء ، أن يدخلوا وهم  
مستعمون بلبسها ، لأن أشبه بالاحتفال والتمتع بالاحتفال ،  
وأبعد من القبول والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين  
أنفسهم في منازلهم ومواضع احتياضهم<sup>(٣)</sup> .

ولكن بعض الناس وبينهم من له جلالة ورئاسة ،  
كأول يدخلون دور العطاء ، من خلفاء وأمراء وسلاطين  
أقضاء أشغالهم ، ولم يراعوا الرسوم المقتضية بشأن العمائم

(١) البيان والتبيين ( ٣ : ٧٢ ) .

(٢) تحف منها الكتب البالية :

(أ) فضل لبس العالم لابن وضاء الأندلسي القاسمي .

(ب) حكمة الأمانة بأحكام العمة — أبي العباس — لا ي

الفضل محمد بن أحمد المعروف بآب الإمام .

(ج) ذو العمامة في دار الطليان لعماد الدين أحمد بن حيدر

الحبشي الشامي .

(د) خارج القفا الكمية في صفه العمامة لعماد أحمد بن

عماد القاسمي .

(هـ) المحطة في أحكام سنة العمامة لمحمد بن جعفر السكاك

الحبشي .

(٣) البيان والتبيين ( ٣ : ٧٧ ) .





٢ - تزعم العمام في دُور العطاء وبحضرتهم :

«لعلّ الطليقة المأمون كان أكبر الخلفاء تساهلاً في  
الساح لمن يقضى مجالسه بشرع العامة ، ولم يكن ذلك في  
مجلس أنيس وراحته غيب ، بل تمتدّى الأمر إلى  
مجالسه الأخرى . فقد نقل لنا السموذى حكاية جاء فيها :  
« وكان يعيّن أنكم يقول : كان المأمون يجلس المظاهرة  
في الفقه يوم الثلاثاء ، فإذا حضر الفقهاء ومن ينظره  
من سائر أهل القالات ، أضحوا حجارة مفروشة ، وقيل  
لهم : اتزفوا أخفافكم ، وأحضرت الموائد ، فقبل لهم  
أصباؤهم بين الطعام والشراب ، وحشدوا الوضوء ، ومن  
ضاق عليه حقته فليمنعه ، ومن ثقلت عليه فليطهّره  
فليضعها ، فإذا فرغوا أنوا بالجواهر فيخروا وتطيّبوا ، ثم  
خرجوا فاستندام حتى يكون منه ، ينظرهم أحسن مناظرة  
وأصفاء أبدها من مناظرة المتجبرين . فلا زال كذلك  
إلى أن استول الشيب ، وتلبّست المسألة ثانية فيطعمون  
الساكنين بها » (١)

« ثم أم الفرج الأصفهاني بدأ آخر في هذا  
الشأن ، قال فيه : « حدثني محمد ، قال : حكّنا  
أبو القتيبة ، قال حكّنا محمد بن عبيد الله الهلبي ، قال :  
« لما مات أبو عيسى بن الرشيد ( سنة ٢٩٠ للهجرة ) دخلتُ  
إلى المأمون وعمامتي علي ، فتلّفتُ هماسي وتبدّتها وراء  
ظهري - والخلفاء لا تعزّي في العمام - ودسّوت .  
فقال لي ... » (٢)

أما في ديار الأندلس ، فكان التساهل كبيراً في رسوم  
تزعم العمام في قصور العطاء ، وبحضرتهم : وشاهد ذلك  
قُبول ابن سعيد ( المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة ) في الشرب :

(١) صروح الذهب ( ٧ : ٣٨ - ٢٩ : طبع باريس ) .

(٢) الأمان ( ١٠ : ١٩٠ : طبع دار الكتب المصرية ) .

= ( ٩ : ٩٧ : بولاق ) = ( ٩ : ٩٢ : الناس ) .

التي خدّمت الخلفاء والأمراء والسلاطين ، ويرى في  
آداب الخدمة رؤسومها : عدة أخبار في هذا الباب ،  
وكانه رواها لتكون موعظة لبلية وسبيلا مهيّدة لمن يهتم  
بالدخول على دور هؤلاء العطاء . قال هلال : « حدثني إبراهيم  
ابن هلال جدّي ، قال : « حدثني السكّني أنا عليّ الحسن  
ابن محمد الأنباري » قال : « كنتُ أخطب بين يدي دُرّويه  
السكراب ، وهو يتولّى كتابة سلامة أبي نجح ( الظولوي )  
الملقب في أيام القاهر بالله بالوُثني ، وسلامة إذ ذاك حاجب  
القاهر بالله ، وكنتُ أجلس في دهليز باب الخامة الذي  
يلي دجلة من دار السلطان ، فأخدم صاحبني فياستخدمني  
فيه : فأني لجالس متعلّق على دُكّة هناك ، إذ جعلتُ  
لإحدى رجليّ عليّ الأخرى ، وكان بإذني صديق لي من  
خلفاء المستجاب بوّدي ودّاً شديداً ، فوثب إلى وضرب  
رجليّ ضربة مؤلّعة بعضاً كانت في يده ، فمقتٌ متلهوفاً  
فقال : يا أبا عليّ ، اعرف لي موضع مساحني بالمال ، ورائي  
لو أنّ هاهنا من أتخوف أن يزعم ينظره ، فساخره  
عليّ مساحنتي . فقلت : وأيّ شيء أذكره لك ؟ قال :  
شيء ، مساحنتي ؟ - فقال : نحن مأمورون إذ رأينا أحداً  
من الناس كلهم قد جلس في دار السلطان هذه الجلسة  
التي جلسنا ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، بأن  
يجوز رجله من موضعه حتى نخرجه من حريم الدار . ونهايتي  
عن الماودة إلى ذلك ، وعن أن أكشف رأسي ، أو أتبدل  
أو أخرج ، أو أرغف في شيء من تلك الماوضع . فشكرته  
على ما غلّقتني به وأرشدتني إليه » (١)

هذه قبضة أخبار ، في جميعها منع ، وتحريم الدُور  
المام بحضرة العطاء ، وفي دورهم . ولكن لكل قاعدة  
شواذ . فهناك أخبار أخرى تنمّ على تساهل وتسامح  
بشزع العمام في دُور هؤلاء القوم أو بحضرتهم : ودونك  
تما وفقاً عليه :

(١) رسوم دار الخلافة ( المخطوط : ص ٤ - ١٠ - ١١ - ١٢ ) .

فصل:

## بسم ١٠٠٠

يصبح الرجال عبيداً ، ولكن هذا الشاب ... !! إن كل كلمة قادها كانت نهال على ضميره كالسيوط ، وغلاً أذنيه بصيحات مختلفة مدنية ، وأصوات مبالغة كنتك الآتية من بيت بحرق ...

يأس !! أية جزمة إذن يرتكب ...  
أخذ يستعيد في ذاكرته كل ما قاله ذلك النفس :  
« أشمر يا دكتور كأنني لست من هذا العالم ، الدنيا مصفرة في وجهي ، وكثيرا ما تنقلب إلى ظلام . والناس من حولي يموجون وبسخيون ، ولكن لا يصل إلى أذني من ذلك إلا طنين كطين الذباب . وكثيرا ما تمر بي لحظات أقصد فيها الشعور ، فإن أفقت أحس برأسي كقعاية من الجحيم ، وكثيرا ما تدعني أيضا رغبة ماحية إلى الهلاك فأبكي حتى تنفد دموعي ...

عالمتي يا دكتور شعور خفي ، وبلاستيقي في كل شيء أسطوري ، بأن الناس يكرهوني ويزدرونني ويشتمونني ، وأنا ... وأخفي نفسي عن عيونهم وحدي كنبود ، في كرههم إليهم وكرهت نفسي ...

أنا أعيش في جحيم لا يطاق ، ولطالما نظرت إلى المرأة تخيل لي أنني جثة بلا روح ، وأن ذلك الهيكل الذي لم يعرف من الشباب غير اسمه ، قد أصبح شبحاً من الأشباح . لحقت على الدنيا ، وجعلت المرأة كي أعيش بعيدا حتى عن نفسي ...

أنا لأعرف يا دكتور ما الذي يذيقني ، وكل ما أعرفه أنني إنسان ناقص لا يصلح للحياة . فترقت الموت كاللاجئ التائه يربق الشاطئ . ولكن الموت لا اقرب من خشيتي كما أخشى الحياة ، وكرهته كما أكره الناس ، ووجدتني أفر منه وأهزول كالجدول لاخشي من شبحه ...

أنا معذب يا دكتور بين الحياة والموت ، واليقين والشك ، والأمل واليأس ، فأنتيت إليك أخيرا لكي تريني وتعلمتني . هل حياة أم موت ؟

فجاب الطبيب جديده ، وأزاح عويصاته الزجاجية في عصبية ، وهو ينظر إلى الباب وقد كان يصد برق ، ثم تنهات على القعد الكبير الذي يواجه المكتب ، وراح يفكر في هذه اليد المرامشة التي أوصدت الباب ، وصاحبها ذي الوجه الأصفر الممتنع ...

إنه يتعلو في تسرع رهيب نحو القبر ، ودماؤه تنسحب رويدا من كل أطرافه ، تاركه خلفها ذلك الانصرار الباهت ، وتتكشف في قلبه لكي تجمد هناك . وهذه المروق التي صربت أطرافها الدامية في عصابة كأيدي الأساطير ، وتطاوت ترسم دوائر زرقاء حول مقلتيه . إنها إنذار خفيف ...

أي قوى في العالم تستطيع أن تقاوم ذلك الجلب الضخم الذي يشده إلى المبالغة ... بل أي معجزة ... كان الطبيب يعرف ما هو اليأس ، وكان مستعدا دائما لأن علا ضميره بهذه الراحة الفكرية التي لا بد منها حين شرق الأندلس . وقد رأيت عزير بن خطاب أكبر عالم عرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة ، وقد خطب له بالذك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس ، وشبه قد قلب على سواد شعره . وأما الأجداد وسائر الناس فقليل منهم من تراه يعمه في شرق منها أو غرب . وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأته بجميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون حمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده <sup>(١)</sup> .

(بنياد)

منايل عمار

(١) الرسالة ( البند ٣١٤ ) من ( ١٣٠٩ ) ، قلا من المغرب في حل الغرب .

منشدة أخرى تحوى أصناف الأدوية والعقاقير ، ولكنه أشاح بوجهه ، ونظر في الأرض التي تحت قدميه ، ثم تمتم : كل هذا لا يتبع ...

ونجاة أفاق الطبيب من خواطره على صوت قرع الباب ، فسمع في دحول الطارق بالدخول ، ففتح ، وظهرت من خلفه الممرضة بوجهها الساذج الصبياني ، وثوبها الأبيض الأنيق ، وظلت منه في استحياء تشويه ذلة مستحبة أن ياذن لها بالانصراف إلى بيتها . فتهلل وجهه لهذا الحيا الضبوح . وأذن لها بما طابت في صوت شجي الثبرات ... وخرجت الممرضة بطرية تتوارد على شفيتها الرقيقين عبارات الشكر التي يخفيها الحياء فما تكاد تسمع ، وأوصدت الباب خلفها ، وابتعد صوت الحذاء وهو يوقع على الأرض نغمة واحدة تتكرر حتى اختفى ...

وتقلب الطبيب حينئذ مرة أخرى ... ولكن ما لبث رفة حتى شاعت على مجاهد ابتسامه مشرقة ، ونهض نجاة في حمة وهو يصيح : يجب ألا يموت ... ثم خرج وأوصد الباب ... في هدوء ...

\*\*\*

وهنا سكنت صديقي برهة وهو يقص على هذه القصة ليساني بها في مرضي ، فشوقني سكونه إلى معرفة ما انتهى إليه الزميل المرضي . وقالت له أسمعته : ثم ... ؟ قال صديقي : ثم في اليوم التالي أفرد الطبيب نفسه الشاب حجرة مجاورة لحجرة الفحص ، وابتدأ في علاجه . قلت : وهل اغتدى إلى ذواء يناجيه به ؟

فابتسم الابتسامه خبيثة وقال : نعم . كان يعطيه ماعقتين بمد كل وجبة .. من الماء القراح . !!

\*\*\*

لقد وجد في غرفته الجديدة ، كل ما كان يكرهه في بيته ، وجد ذلك السكون الذي كان يفرح منه إلى

ضم الطبيب ما بين حاجبيه ، ثم منقط بأصابعه الرهبة على عينييه ، كأنما يريد أن يحدو من غيخته تلك النظرات الهالعة الضاربة في مهبى ذلك الشمس . وحات منه التفاته إلى خزائن كتيبه حيث تجمع كل ما توصلت إليه القول من دقائق هذا الجسد العجيب ، وكل ما عرفه البشر من معجزات الطبي . هنالك بين طوايا الكتب آلاف من أنواع الباسم ، ومن العقاقير أصناف لا تحصى ...

ولكن ... كثيرا ما تعلق على كل هذا وتغطييه علامة استفهام كبيرة ، تراقص أمام عيني الطبيب كابتسامه ساخرة من فم شيطان ! فما الطب ، وما الكتب ، وما الأدوية ، وكل ألوان البراعة البشرية ، أمام هذا المثلث الذي يتدس أحسبا في جوف ذلك الإنسان المقدس ، وتنفث أعراض الموت في جسم لا يعثر فيه الطبيب على علة ... ؟ انتدأ اليأس من جديد ففتح ذراعيه الزعيرتين لتعبر بهما ، فيبتشله من عذباء الفكر في هذه الراسة التي يستمرها جسد البت - إن كان لأنيك يحدو في رقاده مثل الراسة التي ينشع بها الفانوس في وسطى برهة ما تقلصت أساور وجهه ، وأرتقم في ذلك الخط الرفيف الذي بين شفتيه عناز شديد ، ثم انصب في عذبية وهو يتمن محققا . يجب ألا يموت ...

وخطا في حجرة الفحص بضع خطوات ، ثم رجعه مرة أخرى ، وعاد يجلس على المقعد الكبير وراح أيضا يفكر . أجل ! يجب ألا يموت . ولكن ... أي معجزة من معجزات الطب تعطيه الحياة ؟ لقد قال له الآن أن يعود في النساء ، فإذا عساه يقول له في النساء ؟

ورفع الطبيب رأسه إلى السماء كأنما يستمد منها العون ، ثم عاد يجول بنظرة في حجرة الفحص الهادئة . فهذا هو السرير الذي يتقدم عليه المرضي وقت الكشف ، وهذه المنشدة بالأي بالباطع والماسك والفاقت القطن ، وهنالك في الزاوية آلات الأشعة والكهرباء ، وتلك في الوسط



في طريقه ، لأنه البلم الذي لم تنثر إليه أبدا كتب الطب  
واهتمت أكثر منه بزيت الخروع وكبد الحوت ...  
والذي ينظر إلينا السيدلة ساحرنا إذا طلبنا إليهم  
تخصيره ، وهم معذرون لأنهم يحولون نسبة مزج الأسماك  
والأفرياذيات التي منها يتكون ...

كان الطبيب يتبع أحاسيس مريضه ، وهذا يدور  
ببيليه في عرقته ، وقد ظل أسبوعا يدور ببيليه بحثا عن  
ذلك الشيء الجديد الذي يحس به ولا يراه ، حتى عثر عليه  
أخيرا ، نعم عثره وعرف مصدره ... إنه كامن في تلك  
النظرة الطويلة الحنون التي تنرقها في عينيه ممرضة الجديدة  
حين تسقيه كوب اللبن في الصباح ...

وسمع الطبيب تحكة طروية لم يسمعها من قبل ، فاسترق  
الخطى إلى حجرة المريض ، وفتح الباب فراء بعيدا عن ممره  
في ركن من أركان الغرفة ، وخدها متوردان وهو يسبح  
سبحات نشوي جذلة ، وقد راح يلاحق ممرضته ، باحثا  
أينما يمكن ... من شفتها ...  
يقيم الطبيب ، وخرج بغم ... لقد تمت المعجزة ...  
وأوسد الباب ... في هدوء .

\*\*\*

قال صديقي وقد كنت أناؤه من المرض : أرأيت ...  
قلت : نعم لقد أحب . أما أنا ... نزيه نزيه

### إدارة البلديات العامة

تقبل المطامات بمجلس طنطا البلدي  
حتى ظهر يوم ٢٢/٦/١٩٤٤ من  
توريد ٦٥٠ أردبا من الشعير ورفق  
المطامات بتأمين ابتدائي قدره ٣٪  
من قيمتها وتطلب الشروط من المجلس  
المذكور على ورقة دفعة ٣٠٠  
مليا .

٢٣٠٥

الضوء ، فترد هذه مرثيا إلى السكون ؛ ووجد الظافة التي  
كانت تصب في عينيه سوادا رهيبا فيرغمي بين أحضان الدور ،  
فنهول روح الخفاش التي فيه إلى الظافة ؛ ووجد الجنودان  
التي يضيق بها صدره المضطرب ، فيندفع إلى الفضاء الفسيح  
الذي يترق أنفاسه مثل ثقل الماء ، فيكر راجعا كاتريق  
يضرب يديه على وجه البحر ، ويقل بنفسه بين الجنودان ؛  
ووجد نفسه التي حاول أن يفر منها قد لاحتته صائخة في  
أذنيه بصيحات الحياة والموت ، واليقين والشك ، والأمل  
والياس ... كل ما هرب منه من متناقضات غرق  
روحه وجمده في بيت الطبيب ... ولم يجد عليه إلا  
شيء واحد ...

شيء واحد وجدته مقاربا كل النافذة لكل مارآه من  
أشياء ، شيء أشعره بأن هنالك ستارا كثيفا ينظفه ،  
ووراء هذا الستار سر ، شيء أحس بأنه -- دون أن  
يلم -- كان يبحث عنه ولا يجده ، شيء تسرب إلى نفسه  
كذلك الشعاع من ضوء الشمس الذي يترق بقوة جاذبة  
السواد ... لقد أحس بهذا الشيء أول الأمر ولم يعرفه ،  
أحس به أول الأمر إحساسا غامضا لم يعرف كنهه ، ولم  
يعرف بالضبط مصدره من هذه الشبكة الممتدة في كيانه  
كأسلاك البرق ، فما كان يشعر منه إلا بمثل ما يشعر به  
شخص غرت في جسمه إبرة مورفين . كان يشعر بتخدير  
يمت في نفسه رخاوة لذيدة ، ولكن هذا الإحساس ما لبث  
أن قوى وابتدأ يقبته ...

وكانت الدنيا ينفث تشكلا أمام نظره بألوان قوس  
قزح ، متتابعة ، متعددة ، زاوية ، ويختلط اللون والحياة  
في مزيج عجيب كان يسكوه ، ونمر صور اليقظة أمامه كأنها  
الحلم ، والأحلام تراقص في عينيه كأنها حوادث اليقظة ،  
وتتداخل الأحاسيس في بعضها فلا يشعر منها إلا بانشوة  
السكران ، والسماء في جسمه تتواثب وتمدو ...

وكان الطبيب يتبع كل هذه الأحاسيس في عيني  
مريضه ، وكان يعرف من قبل ذلك الشيء الجديد الذي وضعه

## مخطوط نقبیس

كتاب الفاضل  
في الآداب والبلاغات

لأبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الأعرابي الوشاء

عثرنا في المكتبة الخالدية في بيت القدس على مخطوط  
نقبيس رقم ٣ باسم «الفاضل في الآداب والبلاغات» لابن  
الأعرابي المعروف بالوشاء. وقد جاء في آخر الكتاب  
(فرغ من نسخة الثمان بقين من ذي القعدة سنة تسع  
وتمانين وخمسمائة)<sup>(١)</sup>، فيكون عمر الكتاب اليوم سبعمائة  
وأربعمائة وسبعين سنة.

وقد انتقلت ملكية الكتاب أكثر من مرة، ويظهر  
أن هذه النسخة القليلة كانت ملكاً لسراج بن بحر الدين  
عبد بن سراج اللطفي<sup>(٢)</sup> ثم البارودي انتهى كان من أبحاث  
بلاده في الفقه والقراءات والأدب، وله تصانيف منها شرح  
الأربعين النووية سماه (نشر الفوائد الأربعين النبوية في أثر  
فوائد الأربعين النووية)، وجنة الجازع وجنة الجارح،  
وسد باب الضلال وسد باب الغلال في راحة الغزالي، ونظم  
قصيدة في القراءات السبع بوزن الشاطبية، مات عامدين  
سنة ٧٨٨ وله ثمان وستون سنة، وقد أخذ عنه ولده عقيل  
الذي مات سنة ٨١٤<sup>(٣)</sup>. هذا وقد ظهر خط سراج على  
الصفحة الأولى من الكتاب، كما ظهر خط ولده عقيل،  
وانتقل الكتاب بعد ذلك إلى عبد بن علي القرشي اللطيف  
والحسن بن علي الحسيني سنة ٩٩٣ وغيرهم.

وقد تبين من دراسة الكتاب أن المؤلف قد ألف

(١) يترؤعا بعض وسأية.

(٢) نسبة إلى منطقة بلدة قريبة من ديار بكر تشتهر  
اليوم بقلها.

(٣) شذرات الذهب الجزء السادس ص ٣٠١.

كتابه لم يأت على ذكرها ابن النديم، حاشا الكتاب  
الخامس، أما الكتب فهي:

١ - الرنقي في حسن عفو الأدباء عن هفوات  
الأخلاء.

٢ - أخبار بني هاشم.

٣ - الإبتهاج في الصبر المؤدي إلى الانفراج.

٤ - البلاغة من ومايا المختصرين ذوي الآراء  
والعدل الراسين.

٥ - القلائد في أخبار متفرقات الولائد.

٦ - البلاغة من سائر المعجم وما يؤثر عنهم من  
بارع الحكم.

٧ - البلاغة من ذوي الرشاد في حسن وصايا الأولاد.

والمؤلف هو أبو الطيب عبد بن أحمد بن إسحاق الأعرابي  
الوشاء أحد الأدباء الطرفاء، وكان يحيا بمكة لما لمسكت العامة<sup>(١)</sup>.
وانتقل عليه تصانيف كتب الأخبار كالشعر والقطعات،  
وله من الكتب: كتاب مختصر في النحو، كتاب جامعفي النحو، كتاب المقصور والمدود، كتاب المذكر  
والمؤنث، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب

خلق الفرس، كتاب المثلث.

وأما كتبه الأدبية الأخيارية فهي: كتاب أخبار صاحب

الزنج، كتاب الزاهر في الأنوار والازهر، كتاب الحنين إلى

الأوطان، كتاب حدود الطرف الكبير، كتاب الموشى<sup>(٢)</sup>،

كتاب أخبار المتفرقات، كتاب السلوان، كتاب الموشح،

كتاب سلسلة الذهب<sup>(٣)</sup>. ويلاحظ من هذا أن كتاب

أخبار المتفرقات هو ذات الكتاب الذي يشير إليه المؤلف

في كتابه الفاضل. وقد جاء في معجم الأدباء ج ١٧ -

(١) لم عثر على هذا الاصطلاح إلا في ابن النديم، وتتهم من

ذلك أنه مكتب يؤمه من شاء من الطلاب.

(٢) طبع هذا الكتاب في مصر باسم كتاب الفرق والطرءاء

سنة ١٢٢٤ في المطبعة الحسينية.

(٣) انظر فهرست ابن النديم ص ١٢٦.

ذوي المروءة من أولئك قرأت متمك الله بالسلامة، وحيالكم  
بالزفة والكرامة، ما كنت تشككيه إلينا في كتابك من  
قلة الثقة في أصحابك، وسأنتك من معانة تلون الصديق،  
وسرعة ملل الرفيق، وتقل دالة الحميم، وسراسة خلق النديم.  
وسأنت أن أختار لك نوعاً متادياً كرمنا تستعين به على طواري  
غموك، وتنبه في مشكاتف همومك، وتفرغ إليه في سهرك،  
وتدعو إليه عند تحريك، وتعتمد عليه في أمورك، وتستعده  
لسرورك؛ فראيت استغراق الجهد في ذلك عوزاً، ووجدان  
من ترفض خلافة له لئلا تترك عسراً. وأحدث أن أخبوك  
بتدريج بروفتك متقلبه، ويسرك خبره، وتعليق مشاهدته  
وتشكر عبادته، وإذا دعوتها أسرع، وإذا حدثك أمتع، وإذا  
سألته أجاب، وإذا تكلم أصاب، وإذا استنقته طلق،  
ولا يهتك عسراً، ولا يحمك عسراً، يلقى عنك مؤنة الحشمة،  
فأقبل على المال والحكمة، أستعدي به منك دوام الإخاء،  
وأوجب به عليك جيل النساء؛ فقصنت لك كتاباً في البلاغة  
والإيجاز والبراعة المختصة، موجزات الخطب، ومختضب بلاغات  
العرب، مما حفظ من تليغ كلامها، ومختصر ألفاظها، وموجز  
خطبها، وراعة أدبها، ونادر حظ أدبها، ومسرر جوابها  
ومعجب بدائنها، إلى بلاغة البلاغة، وبراعة الفصحاء،  
وجواب الأدباء، وإيجاز الخطباء، ومحادثة الخلفاء، وتهادي  
القطر، ومكاتبة الأمراء، ونوادر الشعراء، وحصافة ذوي  
الأدب، وتقاليد أذهان الكتاب، ورواية عقول النساء،  
وتكامل أدب الإمام، ونظمته بما انتظم به من الحكم الحفوة  
عن حكماء العجم، وروايات المختصرين، وحكم الجاهلين.  
وقدمت ذكر بلاغة العرب على غيرها من الناس، لتقدمها  
على سائر الأجناس، ولأن الله تعالى ذكره قد شرفها برسوله،  
وفضلها بشريعته، وخصها بالخطاب المعجز، واللفظ الوجز،  
والسؤال للشافق، والجواب للكافي؛ فهم أمراء الكلام،  
ومعادن العلوم والأحكام؛ إليهم ترد البلاغة، وعندهم تؤخذ  
القصة؛ فالناس يلتمسهم مقتدون ولا تارهم تبعون، وترجمته  
بكتاب الفاضل لقضه على كل كتاب، وأرسلت به إليك

ص ١٣٢ أن أبا الفرج بن الجوزي يقول في تاريخه إن  
أبا الطيب الوشاء مات سنة ٣٢٥، وله ابن يعرف بابن الوشاء  
ولم يذكر تاريخ ميلاده.

وأبو الطيب ابن الأعرابي هذا النحوي الملم غير أبي  
عبد الله بن زياد المعروف بابن الأعرابي القنوي الكوفي،  
ويب الفضل الضبي، وصاحب كتاب النوادر<sup>(١)</sup> والمتوفى  
سنة ٣٤٦ هـ<sup>(٢)</sup>. فالنحوي الملم هذا ينقل عن ابن الأعرابي  
القنوي الأدب ويروي عنه أكثر من مرة، وبينهما قرن  
كامل كما لا يخفى.

وقد اشتمل الكتاب على ٣٥ باباً من أبواب البلاغة عدا  
المقدمة، فبحث في صفة البلاغة، وفضل القصاحة، وبلاغة  
الخطباء، والرفود والأسارى، وبلاغة البلاغة، والسن، ومكاتبات  
ذوي الأدب، وبلاغة الحسك، والخلائف الأموية، وخطباء  
بنى هاشم، وبلاغة الموزن والمختصرين، والمختصرين والعلماء  
والجاهلين، والمظرفات، والذماني، والأكثر، والضم، والأكثر  
والعلماء الخ الخ. وبالجملة فلم يترك باباً بلا طرفة  
وإنما نكتني هنا بأن نورد مقدمة الكتاب كالمقدمة

لأسلوب المؤلف، الذي يمثل أواخر القرن الثالث وأوائل  
الرابع. ويرى أسلوبه في هذا الكتاب وكتاب الموشى تشابه  
كبير، ولكن هذا الكتاب أغزر مادة وأغنى قيمة.

قال: (بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين، أحمال الله  
في ظل أقدار السلامة بفك، وحجب عن غير نوابه الدهر  
نعمك، وجعلك تستحق شيوخ النعمة ولأمل الأفضال منك  
موتلاً، ومتمك بوفاء هو وأودائك، وبلفك النامية من تأميل

(١) لدى كاتب هذا القليل نسخة من الجزء الأول من هذا  
المخطوط الفرس. ويألف هذا الكتاب من جزئين، والجزء الثاني  
منه مفقود. ويقول البرهمنور برهان في كتاب له في سنة ١٩٣٨  
إن الكتابين (الفاضل والنوادر) فريدان لا وجود لنسخة كاتبة  
منهما على ما علم.

(٢) ترجمه ابن خلكان ص ٩٤٢ — وترجمه الأديب في  
طبقات الأديب ص ٢٠٧. كما ترجمه ابن النديم. انظر ص ١٠٢  
وذكر كتاب النوادر من جلة مؤلفاته.



## أغنية

[على يا حبيب هذه ليثنا قهيا ليلي]

لَيْلَةٌ سَمَتْ كَأَخْلَامِ الْوَيْدِ  
نَشَرَ اللَّيْلُ بِهَا طَيْفَ الصَّبَاحِ  
أَبْلَجَ الْغُرُورُ كَأَجْلَمِ السَّمِيدِ  
يَهَادَى فَوْقَ أَجْفَانِ الْبَلَّاحِ  
طَافَتْ الْقَرْحَةُ فِيهَا بِالْذَّشِيلِ  
سَمَّيْتُ الْأَخْلَامَ فِي ذَلِكَ مَبَاحِ

يا حبيبي هذه لَيْلَةٌ عِندِي  
أَنَا فِيهَا طَائِرٌ مَلْنَقُ الْحَنَاحِ

\*\*\*

الْمَبَا وَالْحُبُّ وَالْحُسْنُ مُعْنَا  
وَالثَّنَا التَّمَنُّعُ مَشْبُوبُ الْعَيْبِ  
وَقِيَانُ الْبَيْتِ نَشْوَى حَوْلَنَا  
فِي دَلَالِ الْمُنَى بِالْقَدْرِ الْعَيْبِ  
وَصَوْنُ الْوَدَاعِ بَيْنَ أَطْيَافِ النَّسَى  
ذَابَ فِي أَكْوَابِهَا نَوْدُ وَدَاعِ

يا حبيبي ليثنا حُبُّ الْمَبَا  
أَنَا فِيهَا طَائِرٌ مَلْنَقُ الْحَنَاحِ

\*\*\*

آه قَدْ أَذِنَ صَوْتُ الْمَشِيدِ  
وَأَتَى الْفَجْرُ بِأَفْرَاحِ النَّسَاءِ  
يَكْشُبُ النَّوْدَ بِحُفْنِ الْأَغْنِيَةِ  
وَيَغْنُصُ اللَّيْلُ مِنْ يَسْتَرْ النَّسَاءِ  
لِيَلْبِي لَا تَنْقُصِي بَيْتَ الْخُلْدِ ! !  
فَأَنَا مَا زِلْتُ مَحْضُوبُ الْمَرَاغِ

يا حبيبي ليثنا مِلْكُ بَيْدِي  
أَنَا فِيهَا طَائِرٌ مَلْنَقُ الْحَنَاحِ  
محمد البرص

من رحي وجدة

## ليلة مقبرة

هَذَاتُ سُورَةُ الضَّجِيجِ مِنَ الْحَسَنِ هَوَى فِي غِيَابَةِ الْأَحْلَامِ  
غَيْرَ تَبِيعَ الْكَلَابُ ذُودَ حِفَافٍ وَعَوَاءَ بِشَقِ صَدْرِ الظَّلَامِ  
وَحَفِيفَ الْأَشْجَارِ هَمْسَ فِي النَّفْسِ غَنَاءَ وَانْجَامِ  
هَلْ تَرَى الرِّيحَ سَاقَا هَيْتِ الْخَا تَبِ تَسْرِي كَشِيَةِ الْأَوْهَامِ  
وَعَلَى النَّهْرِ لِلشَّعَاعِ انْكَسَارِ وَبَعْرَاتُهُ صَدُوعُ انْتِلَامِ  
قَهَقَتْ مَوْجَةٌ تَدَاعِبُ سِدًّا سَاخِرًا مِنْ تَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ  
وَأَسُودَادِ الشَّامِلِ يَكْجُحُهُ الْوَدُودُ وَقَدْ سَالَ دَمْعُهُ الْتَهَامِ  
عَدَّ أَهْدَابَهُ مِنَ الشَّجَرِ الْمَسَا لِي وَنَحْلُ كَلْبَدٍ فِي الظَّلَامِ  
وَسَرَتْ مَوْجَةٌ تَقُولُ لِأُخْرَى كَمْ مَرَدًا بِشَامِخٍ وَرَكَامِ  
كَمْ حَذُوعٍ هَوَتْ هَلَا كَالِي جَدِّ فَسِيلُ زَهَا بِحَسَنِ قَوَامِ  
وَعَلَى الْأَفَقِ ثَمَرَةٌ مِنْ غَيُومِ حَبِيبِ الْبَدْرِ يَطْفَأُ بِثَنَامِ  
أَبْنِ سَمَى خَلَّتْ دَوَارِي مَهَا أَمْدُوهَا بِأَوْجِ قَلْبِي الظَّلَامِ  
فِي سَكُونِ الدَّجَى وَتَحْتِ سَهَامِ النَّسُورِ تَوَجَّيْتُ مِنْ فَضْلِ بَدْرِ الْقَلَامِ  
شَهِدَ الدَّهْرُ حَفَلَةَ زِينَتِهَا رَفِيقَةُ بَيْنِ عَمَارِ الْإِحْلَامِ  
وَحَفِيفَ الْأَوْدَاقِ فِي الْأَفَقِ زَارَتْ شَاعِرًا قَامَلَنَا جَحِيمَ غِرَامِ  
عَاشَ فِي هَامِشِ الْحَيَاةِ غَرِيْبًا فِي قُصُورِ شَيْدَتِ مِنَ الْأَلَامِ  
قُوْنَهُ لَذَّةُ التَّشَاكِي وَفِي كَأْسِ لَسَادَتِهِ لَحِيْبُ هِيَامِ  
أَبْرَى اللَّهُ جِيْنَ وَزَعِ خَيْرَ الْإَرْضِ لَمْ يَقْضِ لِي سِوَى الْإِلَامِ

بنداد

ضياء الرضوي

لا ممتنا به عليك ، لتجعلنا بدلا من المجلس ، وخلفا من الأتيس .  
وقد صدرت ما ضمنت لك من ذلك كلاما جزلا في صفة  
ألسنة البلاغة ، وفضل الفصاحة والبراعة . فقف على ما فيه  
من فضله وثبت في معرفته ومقدار نبيله ، لتعلم إذا أُنعمت  
الاختيار أني قد أحسنت لك الاختيار . انتهى .

وستنشر في فرصة أخرى بعض أبواب من هذا  
الكتاب النفيس . وأنا للرجو أن نوفق لطبعه وتعميمه  
في يوم قريب . بيت المقدس . أحمد سامح الخالدي